روائع المسرح العالمى

١٢

اللعبة الغادرة

تأليف: جون جالزورذى

ترجمة وتقديم: الدكتور شوقى السكرى

مراجعة: الأستاذ فؤاد أندراوس

8

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

روائع المسرح العالمى
١٢

اللعبة الغادرة

تأليف : جون جالزورذى
ترجمة وتقديم : الدكتور شوقى السكرى
مراجعة : الأستاذ فؤاد أندراوس

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

اللعبة الغادرة

تأليف

جون جالزورذى

هذه ترجمة مسرحية :

THE SKIN GAME

By

JOHN GALSWORTHY

مقدمة

بقلم

الدكتور شوقى السكرى

جالزورذى

حياته وأعماله ومسرحه

فى سنة ١٩٣٢ اجتمعت اللجنة التى تبحث فى ترشيح الفائزين بجائزة نوبل فى الأدب ، وقررت أن تمنحها للمؤلف الإنجليزى الذائع الصيت « جون جالزورذى » وكان قرار اللجنة مبنياً على نشاطه الفذ فى ميدانين من ميادين الكتابة الأدبية ، هما ميدان القصة بنوعيها الطويلة والقصيرة وميدان المسرحية . وإنتاجه فيهما وفير كثير يدعو إلى الإعجاب الشديد ، كما كان قرار اللجنة يحمل أيضاً تحية لكاتب يعتقد أن الحياة يمكن أن تمتلئ بالحب والخير ، وتتسع لأجمل المعانى وأرق المشاعر ، وذلك على الرغم من كثرة المظالم والأحزان والآفات ، التى عرضها وفصّلها وحللها بصورة واقعية مقنعة .

كان جون جالزورذى يعتقد أن رسالة الكاتب تنحصر فى تصوير الحياة الإنسانية بشكل موضوعى ، ولكن إحساسه القوى

بضرورة تطبيق العدالة الاجتماعية ، وضميره الحى اليقظ وإيمانه الشديد وتعلقه التام بالجمال والفن — كل أولئك جعله يخرج عن موضوعيته بقدر ؛ كى ينحاز لما يعتقد فيه ويتعلق به .

وكان طبيعياً أن تكون النزعة التعليمية متغلبة فى كثير من كتاباته ، ففى قصصه على الأخص ، نجده يقدم لنا دائماً عبرة يتعظ بها القارئ أو درساً فى الأخلاق . فجالزورذى ممن يعتقدون أن القصة وسيلة من أقوى الوسائل فى بث الدعاية الاجتماعية ، ولذلك تناول فى قصصه الطبقة الوسطى الميسورة ، التى ترسل بأبنائها إلى المدارس الخاصة الباهظـــة التكاليف والجامعات العريقة الأرستقراطية ، والتى تضم أصحاب المهن والتجار الأغنياء ، وأصحاب العقارات والأراضى ، إذ كان على علم تام بأحوال هذه الطبقة وظروفها ، ولذلك صورها بكثير من الدقة والعناية.

ولعل السبب فى براعته فى تصوير هذه الطبقة ، راجع إلى أنه كان يعلم كل شىء عنها ، لأنه منها بفضل نشأته ومولده وطريقة تعلمه . ولد جالزورذى فى (كوم) Coombe فى مقاطعة (سرى) Surrey بانجلترا فى سنة ١٨٦٧ . وكان أبوه محامياً مرموقاً يكسب الكثير ، ولذلك تربى فى أحضان النعمة . ودرس فى مدرسة ابتدائية دراسة خفيفة إلى أن دخل مدرسة من المدارس الخاصة الباهظة التكاليف واسمها (هارو) Harrow وبقى بها حتى سنة ١٨٨٦ ثم درس القانون من سنة ١٨٨٦ إلى سنة ١٨٨٩ فى كلية (نيوكوليج) بجامعة (أكسفورد)

New College, Oxford وسمح له بالاشتغال بمهنة المحاماة
فى سنة ١٨٩٠ ولكنه لم يعمل محامياً بل سافر إلى الخارج مدة
سنتين . وفى إحدى رحلاته من أستراليا إلى جنوب إفريقية
قابل القصــــاص الإنجليزى المشهور (جوزيف كونراد)
Joseph Conrad وامتدت بينهما أواصر صداقة طويلة المدى
عادت على كليهما بالخير . وقد عاد جالزورذى إلى انجلترا
فى ١٨٩٣ وكان أول كتاب أصدره (جوسلين) Jocelyn
والكتاب عبارة عن قصة طويلة نشرها باسم مستعار هو (جون
سينيجون) John Sinijohn فى سنة ١٨٩٨ . ولكن القصة لم تهيئ
له شهرة واسعة ، وإنما كانت خطوة فى طريق قطعه بنجاح فيما
بعد حوالى سنة ١٩٠٤ حين نشر قصته (جزيرة الفاريسيين)
The Island Pharisees وهى أول قصة فى السلسلة الطويلة
من القصص التى صور فيها حيـــاة الطبقة الوسطى الغنية
فى شيء من التفصيل والتبسط ، وفيها يظهر بعده عن الموضوعية
وانحيازه ضد هذه الطبقة بعض الشيء . وأحسن قصصه بإجماع كثير
من النقاد ، قصة (صاحب الأملاك) The Man of Property
أما مسرحياته فأولها من الناحية الزمنية مسرحية (الصندوق
الفضى) The Silver Box وقد أتبعها بمسرحيته (البيت
الريفى) The Country House سنة ١٩٠٧ و (الإخاء)
Fraternity سنة ١٩٠٩ و (الكفاح) Strife سنة ١٩٠٩ .
وبعد ظهور قصته (الأب السيد) The Patrician سنة

١٩١١ و (فندق الهدوء) The Inn of Tranquility
فى السنة التالية سنة ١٩١٢ لم يكتب جالزورذى شيئاً يستحق
الذكر حتى سنة ١٩٢٠ عندما كتب قصة (المحكمة)
The Chancery وهى استمرار لقصة (صاحب الأملاك)
التى أتبعها بعد سنة بقصة (للإيجار) To Let وهى الجزء
الثالث من السلسلة التى أطلق عليها اسم (فورسايت ساجا)
Forsyte Saga وهذه السلسلة المؤلفة من ثلاثة كتب هى
عماد شهرته فى عالم القصص . وله قصتان صغيرتان فى حجمهما
بعض الشىء، هما (صيف كصيف الهند يقضيه فرد من عائلة
فورسايت) Indian Summer of a Forsyte وقصة
(اليقظة) وقد نشرا فى مجلد واحد فى سنة ١٩٢٢ وأكد بهما
تأكيداً نهائياً شهرته فى عالم القصة ، وفيما بين سنتى ١٩٢٢ ،
١٩٢٨ أتم سلسلة ثانية مكونة من ثلاث قصص تتناول حياة
عائلة فورسايت Forstye هى قصة (القرد الأبيض)
The White Monkey وقصة (الملعقة الفضية)
The Silver Spoon وقصة (أغنية البجعة) The Swan Song
وقد ظهرت هذه القصص الثلاث باسم (كوميديا حديثة)
A Modern Comedy فى سنة ١٩٢٩ وفى الأربع السنين
الأخيرة من حياته قبل أن يموت فى ١٩٣٣ كتب قصة (البرارى
ذات الزهور) The Flowering Wilderness وقصة (عذراء
فى الانتظار) Maid in Waiting وقصة (عبر النهر)

Over the River وهذه القصص تظهر فيها خصائصه الرئيسية بوصفه كاتباً من كتاب القصة ، ولكنها لا تمتاز – شأن القصص التي كتبها من قبل – بالحيوية والتجاوب مع روح العصر . وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) انصرف الجزء الأكبر من نشاط جالزورذى لدعم هيئة القلم الدولية .P.E.N التي تأسست في سنة ١٩٢١ والتي تولى رياستها حتى وفاته . وهذه الهيئة مهمتها نشر روح التفاهم وخدمة الأغراض الفنية على نطاق دولى واسع .

كل كتابات جالزورذى ينعكس فيها اعتزازه بنفسه ، وشعوره الخفى بالخجل ، ولكن تحت هذا السطح صفتان ظاهرتان أيضاً في كل أعماله هما : أولا ، حبه العميق المتأصل لروح العدالة ، وإحساسه في الوقت نفسه بنواحى الضعف في تلك الطبقة الوسطى الغنية التي ينتمى إليها بحكم المولد والنشأة ، وثانياً ، حبه القوى للجمال والتناسق والنظام والهندام . وهاتان الصفتان لم يوفق الكاتب دائماً في الملاءمة بينهما ، فكانت النتيجة حدوث شد وجذب ونزاع وصراع ، وانعكس هذا في طريقة تناوله لموضوعاته ورسمه لشخوصه وتصويره لجوه ، فنجد في سلاسله القصصية مثلا تعلقاً شديداً بشخصيات معينة كان الظن به أنه سيتناولها بالنقد المر . خذ مثلا شخصية (سومز فورسايت) Soames Forsyte وتتبع تطوره خلال ست قصص طويلة وأربع قصص قصيرة

وإذا أنت تجده ، بعد أن كان شخصـــاً يستحق منا اللوم والبغض ؛ وبعد أن تحامل عليه المؤلف بادئ الأمر بشكل واضح ، ينقلب إلى شخص يمكن أن نفهمه ونعطف على وجهة نظره .

إن أهم قصص جالزورذى هى فورسايت ساجا The Forsyte Saga وهى التى تفرد له مـــكانا بين أعظم كتاب القصة فى انجلترا . وهو فيها يتتبع تاريخ عائلة من الطبقة الوسطى الغنية فى حوالى ألفى صفحة ، وذلك فى فترة زمنية تمتد ما بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٩٢٧ وأهم مايميز هذه العائلة ، حبها الشديد للملكية وتعلقها التام بغريزة الاقتناء والتجميع إلى الحد الذى يقرب من العبادة والتقديس ، وهناك أيضاً شعورها بالرضا التام عن نفسها وأعمـــالها وإعراضها عن القيم الفنية الجمالية ، وتتجلى هذه النزعة فى طريقة جالزورذى فى رسم شخصية سومز فورسايت المحامى الناجح الذى يزعجه أن رأس العائلة الرجل العجوز الوقور جوليون فورسايت يتغنى بالجمال ويعشقه ، ويزعجه أكثر أن يرى (أيرين هيرون Irene Heron التى تزوجها (سومز) وضمها إلى قائمة مقتنياته الثمينة يزعجه أن يراها تتعلق بالفكرة الجمالية ذاتها ، إن (أيرين) ترفض أن تعامل على أنها شئ ثمين يقتنى ويتوق قلبها لصبوة الحب الحقيقى ؛ فتقع فى غرام (ڤيلب بوسنى) Philip Bosinney مهندس

المعمار الذى كان قد خطب (جون فورسايت) June Forsyte
وفى قصة (المحكمة) Chancery نجـــد استمراراً لحياة
(سومز فورسايت) التى أصبح يملها ويتوق إلى إنجاب ذرية
فيحن للرجوع إلى (أيرين) ويتبعها إلى باريس ، ولكنه
يطلقها هناك ويتزوج من الشابة الفرنسية (آنيت) Annette
أما زوجته السابقة فتتزوج من چوليون الشاب . . بعد ذلك
بتسع عشرة سنة تقابل ابنة (سومز) واسمها (فاور)
Fleur الشاب (جون) (John) ابن أيرين والجزء الثالث
من سلسلة قصص (الساجا) واسمه (للإيجار) To Let
يسرد لنا بإفاضة ما اكتنف حياة العائلة من حزن وقلق
يمتـــد من سومز وأيرين إلى الشاب والفتاة . فالذى
يحدث فى النهاية أن (فلور) لا تتزوج من جون ، وإنما
تتزوج من شخص أرستقراطى ابن بارون هو (ميكل مونت)
Michael Mont والغريب أن هذا الزواج لا يثير غضب
سومز الذى أصبح يعتقد أن كل شئ « للايجار » .

والقصص الثلاث المسماة بالقرد الأبيض والملعقة الفضية
وأغنية البجع وهى التى تكون الكوميديا الإنسانية فيها تصوير
بارع للرغبة فى الاستمتاع بالحياة والاغتراف من ملذاتها ،
وفيها أيضاً تصوير لعقوق الجيل الجديد واستهتاره وتنكبه
للأخلاق الفاضلة فى عالم ما بعد الحرب الذى ساده التفكك
والانحلال .

أما أسلوبه فى قصة (البيت الريفى) فيمتاز بالوضوح والتناسب والدقة فى التصوير ، والشخصيات المهمة فيها من الطبقة الأرستقراطية التى تملك الأراضى والعقارات ، وتتحدث فى المسائل السياسية ، وتبدى رضاها عن نفسها وأحوالها ، غير أن الذكور عادة يبدون فى هـــذه الطبقة رجالا من ذوى العزم والهمة ، بعكس النساء اللاتى يتميزن بالغموض الذى يحوط تصرفاتهن ، وبالقـــدرة على إثارة من حولهن أحياناً .

وجملة مانقوله عن قصص جالزورذى عامة ،أنها تعكس روح انجلترا فى المدة الطويلة التى حكمت فيها الملكة فكتوريا وتتناول نواحى القوة والضعف فى حياة الإنجليز إذ ذاك .

أما مسرحياته فإنها تمتاز عن القصص بالجرأة فى معالجة الأمور وبالإقدام فى تناول الشخصيات والتعليق على تصرفاتها وسلوكها ، فى غير نفاق أو خجل أو مواربة . فهو عادة يعرض قضية من القضايا التى يتجلى فيها ظلم اجتماعى من أى نوع ، ثم يبين العوامل المختلفة التى تكتنفهابوضوح ونفاذ ، ويبين تعارض القوى التى تتحكم فى مصاير البشر وسلوكهم مع رغبات الناس وسعادتهم .

وما أكثر الشخصيات التى خلقها جالزورذى ، وبين لنا بها عداوة الطبقات الاجتماعية بعضها لبعض ، ووقوفها بالمرصاد لمن يخيل إليها أنه يهددها فى رزقها ، أو أمانها النفسى ،

وما أكثر الشخصيات التى بين لنا من خلالها سطوة أهل الظلم وقسوة رجال المال وتعاسة الفقراء والكادحين وضيعة القيم الإنسانية الأصيلة فى عالم لايحفل بالخلق ولا يقر المبدأ ولا يهتم بغير النجاح والعيش الرغيد والنفوذ الاجتماعى .

ولا غرو إذن ، أن نجد جالزورذى المؤلف المسرحى يعرض لنا فى مسرحياته قضايا خاصة فإذا به يوحى إلينا أنها قضايا عامة تنسحب على كثير من الناس فى كثير من البيئات ، ولا غرو أيضاً أن نجده مشغولا بإشعارنا بالهوة الواسعة التى تفصل بين الأغنياء والفقراء ، ولا غرو أن نجده فى عرضه للمشاكل الاجتماعية يتميز بالعمق والدراسة وبإحساسه العام أن الإنسان ضعيف الحيلة أمام القوى الاجتماعية ، وأنه لا يستطيع الوقوف كثيراً فى وجه التيار السائد ، وأن هناك نوعاً من الحتمية فى المجتمع لا يستطيع الفرد أن يتحداه وهو آمن على نفسه . ومع وجود هذه الحتمية نجد جوا من الوقار والجلال يكسو مسرحيات جالزورذى ، وينتقل سحره للقارئ ، أو المشاهد فيسكن ويتطامن ويتحمل قسوة الأقدار فى شئ كثير من الصبر والتجمل .

وقبل أن ننتقل إلى تناول مسرحيات جالزورذى ونوع المسرح الذى خلقه ، ونقارن بينه وبين أنداده من مؤلفى المسرح ، لا بد أن ننوه بقدرة جالزورذى الخارقة فى قصصه القصيرة من أمثـــال قصة (الكابى) The Stoic فإن

براعته الفنيـــة في تركيز الكلام وتصوير الجو وتسليط الأضواء على المشكلة الواحدة من جوانب متعددة دون أن يتطوع بحل سهل قريب المنال . كل أولئك خير شفيع له بأن يحتل أعلى مكانة بين كتاب القصة القصيرة .

أما من الناحية المسرحية فلا يسعنا إلا أن نقارن بينه وبين أعظم كتاب المسرحية المعاصرين له ، ونعنى به چورچ برنارد شو . وحينئذ يبدو لنا من الوهلة الأولى فرق الطبع والمزاج بين الكاتبين وانعكاسه على مسرحيات كل منهما . فبينما نجد جالزورذى إنجليزياً فى طبعه ومزاجه ، يعزف عن المنطق المجرد والنظريات الذهنية البحته ويعتد بالعمل لا بالكلام وبالتصرفات الحاصلة لا بما يسبقها ويخالطها من من بواعث متعارضة بين الإقدام والإحجام ، نجد أن شو أيرلندى فى مزاجه وطبعه ، خفيف الروح بارع الحديث يدعو إلى الواقع ؛ ولكنه الواقع الذى يعكس آمال البشر الحقيقية ويجنح إلى شيء من التصوف والسمو والتعالى على السفاسف والصغائر . وليس معنى هذا أن جالزورذى أقل من شو كإنسان ، ولكنه يشعرك دائماً أنه سيد مهذب كريم يتحلى عمله بشيء كثير من الواقعية ، ويؤثر الإنصاف بين الناس ويأنف من أفعال الخسة والاستغلال الدنىء .

ومع ذلك فلا بد من الاعتراف بأن جالزورذى قد تعلم الكثير من شو ، وخاصة من مسرحياته المبكرة التى

هاجم فيها شو النزعة المثالية التى لا تريد النظر إلى مايجرى فى محيط الحيـــاة ، والتى هاجم فيها الاستغلال والفســـاد والتواكل ، ورفع فيها من شأن العمل والكفـــاح ، وأكد ضرورة إصلاح النظام الاجتماعى ؛ كى يكفل الإنسان لنفسه حياة آمنة مستقرة . وقد وضح لنا جالزوورذى نفســـه الفرق بين مسرحياته ومسرحيات شو حين قال : (إن مسرحيات شو تحتوى على شخصيات تعبر عن انفعالات لا تنفعل بها ، بينما تحتوى مسرحياتى على شخصيات تنفعل بانفعالات لا تستطيع التعبير عنها) وهذا صحيح فإن شخصيات جالزوورذى يتمثل فيها عزوف الإنجليز عن التبســـط فى الكلام ، والإغراق فى التعبير ؛ والحديث الدائم عن أفكار وخواطر هاجسة ، ويتجلى فيها بدلا من هذا كله إقدام على العمل ، وإفصاح بالإشارة وتعبير بالحركات المرتسمة على الوجه فى الوقت الملائم . بل إن العمل غالباً ما يغنى عن الكلام . وعلى النقيض من هذا شو فى اعتماده على الكلمات ، وفن التعبير والدعاية لآرائه أو آراء غيره من المؤيدين والمعارضين .

على أن جالزوورذى تنقصه بشكل واضح تلك المقدرة الرائعة التى تتجلى عند شو ، والتى تجعله يسخر من نفسه ومن شخصياته ومن جمهوره فى براعة تامة ، وينقصه أيضاً ذلك الانطلاق العجيب فى دنيا الخيـــال شأن شو ؛

وإن كان جالزورذى تحمد له أحياناً سيطرته على خياله وتوخيه القصد والاعتدال .

كما أن شخصيات شو قد تكون « مهوشة » بعيدة عن الواقع ، على حين أن شخصيات جالزورذى أقرب إلى الأنماط العادية بين الناس .

لا شك أن شو عموماً خبير بالنفوس أكثر من جالزورذى ، ولكن جالزورذى يحصر نفسه فى نطاق أضيق من نطاق شو ، ويعرف كل شئ عنه فلا يجاريه فى هذه المعرفة شو . جالزورذى ممتاز حين يعرض نماذج إنسانية تعيش فى هذه البيئة المعينة التى يعرفها تمام المعرفة . ولكن هذه النماذج قد تكون أحياناً من النوع السطحى التافه أو السهل الفهم والمأخذ .

والبناء المسرحى لمسرحيات جالزورذى محكم وأفضل كثيراً من البناء المسرحى عند شو ، ولكن هذا البناء المسرحى المحكم ، قد يتعرض للجمود والتكرار فى المسرحيات المختلفة التى ألفها جالزورذى فلا نجد فيها ابتكاراً أو تنوعاً كما ينبغى .

والخلاصة أن جالزورذى كاتب مسرحى من طراز عظيم ، ولكنه لم يكن عبقرية ممتازة مثل شو . والحقيقة التى ننصفه بها ، أنه لم يتظاهر قط أو يدع بأنه عبقرى من طراز شو .

كانت أولى المسرحيات التى كتبها جالزوورذى مسرحية (الصندوق الفضى) التى ألفها فى سنة ١٩٠٦ عند ما شارف الأربعين من عمره تقريباً . وكان فى ذلك الوقت معروفاً بكتابة قصص طويلة وقصيرة ظل ينتجها مدى عشر سنين وكان قد حصل على شئ من الشهرة وذيوع الصيت حين نشر الجزء الأول من سلسلة (الفُورسايت ساجا) Forsyte Saga . ومعنى هذا أنه أقدم على كتابة المسرحيات بعد أن نضج ، وتدرب فى ميدان القصة، وآثار هذا النضوج وهذه القدرة على رسم الشخصيات، وتتبع الأحداث وتلوين الجو ، انتقلت معه إلى ميدان المسرحية .

وكان أبوه محامياً ناجحاً كما كان هو نفسه ممن امتهنوا مهنة المحاماة فترة من الزمن ، وأثر هذا أيضاً فى إنتاجه المسرحى الذى نقل إليه اهتماماته القضائية ، وبصره بمشاكل الناس التى يعرضونها على المحاكم ، ووقوفه على الآثار النفسية التى تترسب فى عقول الناس نتيجة لمخاوفهم وطموحهم وقلقهم وسعيهم لاسترداد حقوقهم ، أو التيسير على أنفسهم وترصدهم لأعدائهم والكيد لهم والظفر بهم والانتقام منهم . ولا بد أن نذكر أن كتاب المسرح فى القرن التاسع عشر كانوا يفضلون أن يتناولوا المشاكل التى يعرضونها فى مسرحياتهم على أنها مشاكل معروضة أمام القضاء ؛ كما فعل الكاتب المسرحى الألمانى (شيلر) Schiller وزميله

(كلايست) Kleist والكاتب الفرنسي (دوماس) Dumas والكاتب النرويجي (إبسن) Ibsen ولكن جالزورذي فاقهم جميعاً في هذا المضمار .

يمكن إذن أن نصف إنتاج جالزورذى المسرحي بأنه سلسلة من التقارير المرفوعة للقضاء كي يفصل فيها . وفي كل مسرحياته تقريباً ، نجد تفصيلات كثيرة عن إجراءات رفع القضايا ، وعن سير المحاكمات ، وعن المذكرات التي تقدم في الدعوى ، وعن استشارة المحامين ومرافعاتهم ، وحتى في الحالات التي لا نجد فيها شيئاً من هذا نجد أن المسرحية تدور حول مسائل قانونية وأخلاقية ؛ على أن كتابات جالزورذي المسرحية تفرق دائماً بين نوعين من العدالة ، العدالة التي تنحصر في تطبيق القانون دون تحيز أو ميل ، وبصرف النظر عن المستفيد أو الذي يضار من تطبيق القانون ، والعدالة التي يتطلبها القانون الأخلاقي الذي يعتد بخير الناس وكرامتهم وأمانهم وطمأنينتهم ، بصرف النظر عن ورود ذلك في نص قانوني أولا . وتتلخص طريقة جالزورذي في عرض قضية من القضايا في أنه بعد أن يبسط موضوع النزاع يسلط عليه أضواء مختلفة من زوايا مختلفة حسب وجهات النظر . وتعارض المصالح واشتباك الأغراض والغايات ، بحيث يستنير الذهن بالمشاهدة للمسرحية ويخرج بالحل الذي يروق له هو دون أن يفرض عليه جالزورذي حلا معيناً ، أو يوجهه وجهة خاصة .

إذا قارنا بين مسرح إبسن ومسرح جالزورذى ، نجد أن مسرحيات إبسن تعتمد على الصراع بين الشخصيات ، وعلى إثارة مشاكل بينها ، على حين أن مسرحيات جالزورذى تعتمد على حوادث من النوع الذى نقرأ عنه فى الجرائد ومعنى هذا أن مسرحياته أشبه بالقصص البوليسية .

ولعل أعظم مسرحيات جالزورذى من الناحية الفنية مسرحية (الصندوق الفضى) ولكن أكثر مسرحياته ظفراً بالشهرة مسرحية (الولاء) Loyalties إلا أن كليهما تتضمن تحقيقاً جنائياً، ويقوم فيها المخبرون التابعون لهيئة الشرطة بدورهم المعروف ، والتأزم الذى يسود الجو المسرحى أشبه بما يحدث فى القصص البوليسية بفـــرق واحد ، وهو أن اهتمام جالزورذى ليس منصرفاً إلى اكتشاف شخص الفاعل أو المرتكب للجريمة ؛ بل إلى تحليل موقف هذا المجرم من الجريمة التى يرتكبها ، والصفات الأخلاقية التى دفعتـــه إلى ارتكابها .

وهناك إيحاء قوى نخرج به بعد مشاهدة مسرحيات جالزورذى مفاده أن الأشخاص العاديين لا يستطيعون السمو إلى مستوى الأحداث الغير العادية ، وأنهم بمجرد مواجهة المشاكل التى ليست فى متناول خبراتهم العادية يخفقون فى تصرفاتهم ، ويعجزون عن تطبيق المبادئ الأخلاقية الكريمة السامية .

فجالزورذى يبين لنا كيف ترتبط الأخلاق بنوع الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الفرد ؛ هناك مصالح مادية هى التى تربط الأفراد وتوجه سير حياتهم ، وهذه المصالح المادية يحددها الوضع الاجتماعى أو الطبقى الذى يفرض بدوره طابعاً معيناً على أخلاقيات الفرد ، فيجعله يتصرف التصرف الذى يليق بوضعه ، أو ينسجم معه أو يفيده ولا يقدم على عمل من شأنه الإضرار بالمصالح والامتيازات التى تؤول إليه بحكم وضعه .

ولعل مسرحية (اللعبة الغـــادرة) Skin Game خير مسرحيات جالزورذى دلالة عليـــه ، إذ نجد فيها خصائصه الفنية واضحة ، وطريقته فى رسم الشخصيات وبناء المشاهد وإتقان الحبكة نجدها كلها متمثلة تمثلا صريحاً لا لبس فيه ، وأهم من هذا نجد النظرة الاجتماعية الخاصة التى تمـــيز جالزورذى .

والصراع فى هذه المسرحية يقوم بين هلكرست Hillcrist صاحب الأملاك وصاحب الحسب والنسب ، وبين هورنبلوور Hornblower الرجل الناجح الذى يقيم المصانع ويستثمر الأموال ، ولا يهمه فى سبيل نجاحه وثرائه أى شىء آخر . إنه يقول متفاخراً « لدى القوة ولدى المال وأنا لا أقنع بما عندى . أنا ماض قدماً لأنى مؤمن بنفسى ولا اعتبار عندى للعواطف وما إليها » .

أما سبب هذا الصراع المستحكم بين هورنبلوور من ناحية ، وهلكرست من ناحية أخرى ، فيتبين لنا من هذا الحوار بينهما :

هلكرست : « إنك تريد أن تشترى (سنترى) Centry وتقيم مزيداً من مداخنك هناك ، بصرف النظر عما تجره على منزلنا الذى نملكه منذ أجيال ، وعلى كل متعة لنا هنـــا »

هورنبلوور : « إننى رجل محدث أما أنتم فقوم عريقون . أنتم لا تحبوننى بل تظنوننى من النوع الذى يزاحم الغير ويدفعه . أنا ذاهب إلى كنيسة مخالفة للكنيسة الرسمية ، وأنتم لاتحبون هذا . أنا أصنع أشياء وأبيعها ، وأنتم لا تحبـــون هذا : أنا أشترى الأرض ، وأنتم لا تحبون هذا ، لأنه قد يفسد عليكم المنظر الذى تطلون عليه من نوافذكم . حسناً أنا لا أحبكم ولن أسكت على موقفكم هذا . لقد طال تحكمكم فى الأمور ولن يتكرر هذا بعد الآن » .

المهم أن كلا الرجلين ينتمى إلى طبقة اجتماعية معينة ويدافع عن كيانها بمختلف السبل ، فهلكرست من سراة الريف على حين أن هورنبلوور من أصحاب المصانع ، ولكل منهما نظرته الخاصة فى الحياة ، وأخلاقياته التى تناسب أوضاعه وظروفه ومصالحه . وهذا واضح من كلام هورنبلوور .

هورنبلوور : « لم تكن لى كلمة فى مصيرى حتى توافر لدى المال ، وهذا شأن كل إنسان . إن الأمر كله نفاق .

وأنتم يا أهل الريف ، منافقون من الطراز الأول ، تتحدثون عن اللباقة وما إليها ، وما هذا كله فى حقيقة الأمر إلا نظرية تلائم من بيده زمام الأمر » .

صحيح أن هورنبلوور أغنى من هلكرست ، وصحيح أن هلكرست لم يستطع مجاراة هورنبلوور فى عملية المزايدة على قطعة الأرض موضع النزاع ، وأن هورنبلوور هو الذى ظفر بها ؛ ولكن هلكرست له تابع أمين هو (دوكر) يوفق فى نبش فضيحة تتعلق بزوجة ابن هورنبلوور ، ويأتى بشخصين كانا يستخدمانها — واسمها كلو — حين يريد الأزواج أن يثبتوا الزنا ، لكى يُطلّقوا من زوجاتهم ، وذلك لقاء مبلغ من المال كانت تتقاضاه . ومعنى فضح كلو فضح عائلة هورنبلوور كلها ، والقضاء على سمعتها واستحالة بقائها فى المنطقة ، وكان هلكرست وزوجته يريدان التلويح فقط بالفضيحة دون نشرها ، ولكنها انتشرت بالفعل ، واضطرت عائلة هورنبلوور إلى الرحيل والاستسلام ، وهكذا لم يقف الصراع بين عائلتى هلكرست وهورنبلوور على قطعة الأرض بل امتد وانتشر واستحال حصره وتحديد نطاقه ، ولم يعد من الممكن أن يقف الانتقام عند حد بل أطلق العنان لنزعات الشر ، حتى تصل إلى غاياتها المقدورة .

وفى هذا المعنى يقول هلكرست : « عندما بدأنا هذه

الخصومة كانت أيدينا نظيفة ـ فهل هى الآن نظيفة ؟ أى قيمة لنبل النبلاء إذا لم يحتمل النار المسلطة عليه » ؟

ولا يسع المرء إلا أن يذكر هنا أن نفس المشكلة التى عالجها جالزوردى فى (اللعبة الغادرة) تشبه المشاكل الرئيسية فى كثير من مسرحيات إبسن ، فهلكرست فى تصرفاته واستجابته للمواقف ، أشبه بهلمر Helmer فى مسرحيته (بيت الدمية) ، كلاهما يتمسك بالمبادئ التى تحكم عالمه وكلاهما يشهد انهيار هذه المبادئ حين اصطدمت بالواقع ولم تستطع أن ترتفع إلى مستواه ، وإن كان إبسن والحق يقال ، أكثر جرأة فى تناول هـذا التناقض بين المستوى الأخلاقى الشائع ، والمستوى الأخلاقى الذى تفرضه المبادئ الحقة المطلقة .

وإذا كان لابد من أن ننسب مسرح جالزوردى إلى مدرسة معينة ، أو مذهب من مذاهب الكتابة المسرحية ، فلعله أقرب إلى المذهب الطبيعى ، وهو المذهب الذى يجعلنا نتوخى الطبيعة كما هى ، طبيعة الناس وطبيعة الأشياء ، ويجعلنا نتعاطف مع الطبقات القليلة النصيب من متـاع الحياة ، وننقل أفكارها وخواطرها وقلقها وهمومها بلغتها الدارجة التى تتعامل بها .

وليس المجال هنا مجال تطبيقات شاملة لنظرية معينة

على إنتاج جالزورذى المسرحى كله ، فإن نطاق هـــذه المقدمة سيضيق به ، فضلا عن أن من المصلحة أن نترك نقطاً تصلح للمناقشة عندما تتم ترجمة مسرحيات أخرى للمؤلف ذاته . ولكن يكفى قبل أن نختم هذه المقدمة أن نبرز بعض النواحى التى مازلنا إلى الآن نذكر فضل جالزورذى حين نذكرها ؛ وأهم هذه النواحى أن جالزورذى تقدم إلى المسرح الإنجليزى بموضوعات كانت تشغل أذهان معاصريه ، فتناولها وناقشها ؛ وساعد على تجليتها ، ومكن الناس من مواجهتها وتدبير الحلول اللازمة لها .

ونحن هنا فى الجمهورية العربية مازلنا ننتظر المؤلف المسرحى الأصيل ، الذى يضع أمام رواد المسرح العربى مشاكلهم الحقيقيـــة ، ويعرضها فى جرأة وإخلاص وفن واقتدار ، فإذا أفادنا مسرح جالزورذى فى هذه الناحية حمدناها له .

وهناك ناحية أخرى لابد من التنويه بها عندما نذكر فضل جالزورذى ، وهى مقدرته الفائقة فى رسم شخصيات عادية مرتبطة ببيئتها الواقعية ، لا تحلم ولا تسرح فى سبحات الخيال المطلق ، ولا تهرب من مشاكلها العاجلة الملحة ، بل تحزم أمرها ، وتستغل طاقاتها فى سبيل الوصول إلى أهدافها وتحقيق مصالحها ، فضلا عن أن المؤلف يرسم هـــذه

الشخصيـــات بدقة ووضوح ، فلا يختلط بعضها مع البعض الآخر فى الذهن ؛ بل تستقل كل منها بملامحها الخاصة وبتفكيرها وبنظرتها وفلسفتها . وهذه القدرة على رسم الشخصيات العادية المتميزة ، لابد أن نشيد بها أيضاً وحبذا لو تمكن الذين يؤلفون للمسرح العربى من تنميتها والوصول بها إلى أقصى مدى لها .

دكتور شوقى السكرى

شخصيات المسرحية

تشارلز «الابن الأكبر»

زوجته

هورنبلوور

رولف «الابن الأصغر»

غرفة المكتب الخاصة بهلكرست . غرفة لطيفة فيها كتب مجلدة ، ودلالات على أن آل هلكرست من المعتادين على السفر . هناك مثلا صورة فوتوغرافية كبيرة لتاج محل ولجبل تيبل ولأهرام مصر . مكتب ضخم (إلى يمين المسرح) مخصص للأعمال المتعلقة بالعزبة . قناعان من جلد الثعلب . أزهار فى أوان . كراسى كبيرة مريحة . نافذة فرنسية طويلة مفتوحة (إلى الخلف) تشرف على منظر جميل لمرتفع هين من الحقول والأشجار التى تغمرها شمس أغسطس . مدفأة لطيفة من الحجر (إلى يسار المسرح) . باب (إلى اليسار) وباب مواجه (إلى اليمين) . الألوان الغالبة هى لون الحجر ، ولون رمادى كلون ورقة السيجار ، وبقع زاهية اللون .

يجلس هلكرست إلى مكتبه على كرسى متحرك ، وهو منهمك فى تصفح أوراق . إنه مصاب بالنقرس ، ولهذا ترى قدمه اليسرى مربوطة ، وهو رجل نحيل هزيل فى الخامسة والخمسين تقريباً ، يغلب على محياه التهذيب واللطف وغرابة الأطوار . وتقف قريباً منه فى اعتدال كريمته « چل » ذات التسعة عشر ربيعاً ، وقد عقصت شعرها حول وجهها المليح الذى يشبه وجه الرجال .

چل	:	كل شيء قد أصبح غاية في السخف هذه الأيام يا أبي كما تعلم .
هلكرست	:	السفلة سفلة حتى في هذه الأيام ياچل .
چل	:	ومن هو السافل ؟
هلكرست	:	رجل يفرض نفسه على الغير دون اعتبارهم .
چل	:	خذ مثلا هورنبلوور .
هلكرست	:	لاأود أن آخذه .
چل	:	على كل حال إنه موجود . خذ تشارلى أو تشيرلى كما أقول . ومن المهم ألايكون المرء كتشارلى .
هلكرست	:	يا إلهى ! هل تعرفينهم بأسمائهم الأولى ؟
چل	:	لقد ظلوا هنا سبع سنين يا أبى العزيز .
هلكرست	:	لم نكن نعرف أسماءهم الأولى فيما مضى من الزمان إلا من شواهد قبورهم .
چل	:	ليس تشارلى هورنبلوور فى حقيقة الأمر شريرا جدا .
هلكرست	:	بعض الشيء . إن فكرى دائما مشغول بالصيد .
چل	:	[تشد شعره] والآن إن زوجته كلو .
هلكرست	:	[وقد بدا له خاطر] يا إلهى ! لو عرفت أمك أنك تسميها باسمها المجرد لأصابتها نوبة .

چل : إنه اسم رائع .

هلكرست : كلو ! هم ! كان عندى مرة كلب من صنف الاسپانيال .

چل : أنت ضيق الأفق يابابا ، ولن يجديك هذا يا حبيبي . لابد أن تساير التطور فأنا متأكدة أن كلو ، قد ذاقت طعم الحياة ، وهذا شئ محبب على أى حال . كلا ، ليست أمى فى الغرفة ، فلا تحول عينيك القلقتين هكذا .

هلكرست : حقا يا عزيزتى ، لقد جاوزت ...

چل : الحد ، والآن ، رولف

هلكرست : وما هو رولف ؟ أهو كلب آخر ؟

چل : رولف هورنبلوور ممتاز . إنه فى الحقيقة غلام لطيف .

هلكرست : [يحدجها بنظرة حادة] أوه ! أهو غلام لطيف ؟

چل : نعم يا حبيبي . ألا تعرف مامعنى أن يكون غلاماً لطيفا ؟

هلكرست : ليس فى هذه الأيام .

چل : سأخبرك : إنه أولا ليس عاشقا .

هلكرست : ماذا ! على أى حال فى هذا بعض العزاء .

چل : مجرد رفيق لطيف طيب .

هلكرست : بالنسبة لمن ؟

چل : لأى إنسان . لى ؟

هلكرست : وأين ؟

چل : فى أى مكان . هل تعتقد أننى أقصر نفسى على دائرة المنزل الضيقة ؟ أنا يا أبى أحب أن أعيش فى نطاق أوسع .

هلكرست : [فى سخرية] صحيح !

چل : وثانيا ، إنه لا يحب الخضوع للنظام .

هلكرست : يا للسماء ! الحق أنه يبدو جذاباً .

چل : وثالثا ، إنه يصد أباه .

هلكرست : أهذا ضرورى أيضاً للفتيات المهذبات ؟

چل : [تعبث بخصلة من شعره] دعك من هــــذا ! ورابعاً ، إن له أفكاره الخاصة .

هاكرست : لقد عرفت ذلك .

چل : إنه يفكر ، مثلا كما أفكر ..

هلكرست : آه ، لعلها أفكار سليمة .

چل : [تشد شعره فى رفق] حذار ! إنه يعتقد أن الشيوخ يشرفون على تسيير الأمور أكثر مما ينبغى . ويقول إن هذا لا يجوز لأنهم سريعو الغضب ، فهل أنت سريع الغضب يا حبيبى ؟

هلكرست : أنا ! لا أعرف سرعة الغضب هذه .

جل : إنه يقول لن يتوافر العالم الذى يصلح
لأن نعيش فيه ما لم نتخلص من الشيوخ .
ينبغى أن نجعلهم يتسلقون شجرة عالية ،
ثم نهزها بشدة حتى يسقطوا منها .

هلكرست : [فى شىء من السخرية] : أوه ! هذا ما يقوله !

چل : وإلا أفسدوا على الشباب حياتهم ، إذا
استمروا على هــذه الحال من التشبث
بحقوقهم .

هلكرست : وهل يقره أبوه على هذا ؟

چل : أوه ! إن رولف لايتكلم معه؛ لأنه طويل
اللسان . هل رأيت لسانه يا بابا ؟

هلكرست : طبعاً .

چل : إنه مهول . أليس كذلك ؟ أما لسانك
فإنه قصير ياحبيبى . [تعبث بشعره]

هلكرست : إنه لن يكون قصيراً بعد دقيقة . أتدركين
أننى مصاب بالنقرس ؟

چل : لا بأس عليك يا حبيبى ! كم لبثنا هنا
يا بابا ؟

هلكرست : من أيام البزابيث على أى حال .

چل : [تنظر إلى قدمه] : إن لهذا مساوءه . هل تعتقد
أن هورنبلوور كان له أب ؟ أعتقد أنه

ابن الطبيعة . ولكن لم كل هذا يا أبى ؟
لم نتخذ هذا الموقف من آل هورنبلوور ؟

[تمط شفتيها وتقوم بحركة كأنما تدفع عن طريقها أشخاصاً]

هاكرست : لأنهم من النوع الذى يزاحم .

چل : ذلك لأننا وصلنا — كما تقول أمى — وأنهم لم يصلوا بعـــد . ولكن لماذا لا ندعهم يفعلون ؟

هلكرست : لن تستطيعى ذلك .

چل : ولماذا ؟

هلكرست : لا بد من مرور أجيال قبل أن يتعلم المرء أن يعيش ويدع غيره يعيش يا چل .
مثل هؤلاء الناس يأخذون منك فداناً إذا أعطيتهم سهماً .

چل : ولكن إذا منحتهم الفدان لن يرغبوا فى السهم . لماذا يتعين أن يكون الأمر كله أشبه بلعبة غادرة

هاكرست : من أين لك هذه العبارات الغريبة ؟

چل : لاتخرج عن الموضوع يا بابا .

هلكرست : إن الحياة كلها يا چل صراع بين الناس فى مختلف مراحل التطور ، وفى مختلف

الأوضاع ، وفى مختلف درجات النفوذ الاجتماعى والجاه . وليس من سبيل إلا أن نضع للمباراة القائمة قواعد نلتزم بها . إن المحدثين من أمثال آل هورنبلوور لم يتعلموا هذه القواعد بعد . فالقانون الوحيد الذى يلتزمون به ، هو قانون الحصول على كل ما يصل إلى أيديهم .

چل : لا تقل كلاما كهذا يا حبيبى . إن آل هورنبلوور ليس فيهم نصف هذه السفالة التى تظنها بهم .

هلكرست : حسنا . عندما قمت ببيع مزرعة (لونجفلو) والأكواخ الملحقة لهورنبلوور كان تصرفه معى سليما بكل تأكيد . ومع ذلك فهو شيطان . [يأخذ فى التحمس] إن تأثيره فى [ديپواتر] تأثير سيئ للغاية . ومصانع الفخار التى يملكها تسبب تدهورا فى الأخلاق . وجو المكان يتغير كله . كم أتحسر ألف مرة على مجيئه إلى هنا ، واكتشافه للطين الذى يصنع منه الفخار . لقد أدخل معه الروح الجديدة .. روح القضاء التام على المنافس .

چل : تعنى القضاء التام علينا . ماهو تعريفك « للجنتلمان » يا بابا ؟

هلكرست : [فى ضيق] لا أستطيع أن أصفه . كل ماعندى مجرد شعور .

چل : أوه ! حاول .

هلكرست : حسن !أظن من الجائز أن تقولى إنه الرجل الذى يحافظ على الأوضاع ، ولايسمح للحياة بأن تصرفه عن مثله .

چل : ولكن لنفرض أن مثله منحطة .

هلكرست : [فى شىء من الجد] أنا أفترض بالطبع أنه إنسان شريف متسامح مترفق مع الضعفاء ولا ينشد مصلحته فقط .

چل : آه ! النوع الذى ينشد مصلحته فقط ؟ ولكن ألسنا جميعاً كذلك يابابا ؟ أنا من هذا النوع .

هلكرست : [مبتسما] أنت !

چل : [فى احتقار] أوه ، نعم . ستقول إننى لم أبلغ بعد سن المعرفة .

هلكرست : لا يستطيع أحد أن يعرف إلا إذا اكتوى بنار المعركة ياچل .

چل : باستثناء أمى طبعا .

هلكرست : ماذا تعنين بذكر أملك ؟

چل : إن أمى تذكرنى بنظرة انجلترا لنفسها . دائما على صواب مهما تفعل .

هلكرست : نَعَمْ . لعل أملك هى النموذج الكامل للمرأة.

چل : هذا ما كنت أقوله . والآن هل فى وسع أحد أن ينسب إليك الكمال يا أبى ؟ وفضلا عن ذلك فأنت مصاب بالنقرس .

هلكرست : نعم . وأنا أريد [فلوز] .دقى ذلك الجرس.

چل : [تعبر الغرفة متجهة نحو الجرس] : هل أسمعك تعريفى للجنتلمان ؟ هو الرجل الذى يؤدى لآل هورنبلوور حقوقهم [تدق الجرس] . وأعتقد أنه ينبغى على أمى أن تزورهم ، فرولف يقول إن هورنبلوور العجوز يحز فى نفسه جداً أن أمى لم تُحىِّ كلو قط طوال السنوات الثلاث التى قضتها هنا .

هلكرست : أنا لا أتدخل مع أملك فى مثل هذه الأمور. وفى وسعها أن تذهب إلى الشيطان نفسه وتزوره فى بيته إذا أرادت .

چل : أعرف أنك دائماً أفضل منها بكثير .

هلكرست : هذا يدل على الاحترام .

چل : أنت تتعمـــد ألا ترتسم ميولك وآراؤك الخاصة على وجهك ، ولكن أمى تنظر إلى الغير من طرف أنفها باحتقار . إنها لا تتهاون فى هنة غير لائقة وتكيل الصاع صاعين .

هلكرست : چل ! ما هذه اللغة ؟

چل : لا تروغ من الموضوع يا بابا . أود أن أقول إنه ينبغى لأمى أن تزور آل هورنبلوور [لا يجيب] فما رأيك ؟

هلكرست : إننى أحب يا عزيزتى دائماً ، أن أدع للناس الكلمة الأخيرة ، فهذا يجعلهم يشعرون بشئ من الغرابة . آه ياقدمى !

[يدخل فلوز من اليسار]

أرسل إلى القرية من يأتينى بزجاجة من من هذا الدواء .

چل : سأخرج أنا يا حبيبى .

[ترسل له قبلة فى الهواء ، وتخرج إلى الشباك]

هلكرست : وأخيراً الطباخ . إننى مضطر أن أعيش على السوائل ، وقدمى تسوء حالتها .

فلوز : [فى عطف] : فعلا يا سيدى .

هلكرست : هذه هى المرة الثالثة هذا العام يا فلوز .

فلوز : شئ يضايق جداً يا سيدى .

هلكرسلت : نـ ... عم . هل أصبت بمثل هذا ؟
فلوز : أظن يا سيدى أننى شعرت بوخز .
هلكرست : [مشرقاً] : صحيح ؟ أين ؟
فلوز : فى معصم السدادات .
هلكرست : فى ماذا ؟
فلوز : المعصم الذى أنزع به السدادات .
هلكرست : [فى فأفأة] لو عشت مع أبى ، لتعرضت لأكثر من الوخز — هم
فلوز : عفواً يا سيدى — إن سدادات زجاجات مياه ڤيشى ، أصعب فى إخراجها من زجاجات أى نبيذ .
هلكرست : [فى سخرية] آه . إن الريف الآن غير ما كان عليه بالأمس يا فلوز . أليس كذلك ؟
فلوز : لقد أصبح الآن جديداً جداً ياسيدى .
هلكرست : [فى رقة] أنت على حق . هل وصل دوكر ؟
فلوز : لم يصل بعد يا سيدى . إن آل جاكمان يرغبون فى رؤيتك يا سيدى .
هلكرست : فيم ؟
فلوز : لا أعرف يا سيدى .
هلكرست : دعهم يدخلون .
فلوز : [منصرفا] : أجل يا سيدى .

[يدير هلكرست كرسيه المتحرك . يدخل آل جاكمان السيد جاكمان رجل ضخم الجثة فى حوالى الخمسين من عمره ، يلبس زى العمال ، وفى عينيه أكثر مما يقوى لسانه على الإفصاح عنه . أما زوجته فسيدة صغيرة الجسم ، لها وجه متعب ، ونظرات سريعة لامعة ، ولسان ينسجم مع نظراتها]

هلكرست : صباح الخير يا مسز جاكمان . وأنت يا جاكمان . لم أركما من مدة طويلة . أى خدمة فى وسعى أن أؤديها لكما ؟
[يسحب قدمه وأنفاسه بصوت حاد]

جاكمان : [فى صوت كسير] وصلنا إنذار بالإخلاء يا سيدى .

هلكرست : [وهو يضغط على الحروف] ماذا ؟

جاكمان : يتعين علينا الإخلاء هذا الأسبوع .

مسز جاكمان : هذا صحيح ياسيدى .

هلكرست : ولكننى عند ما بعت (لونجفلو) والأكواخ كان هناك تفاهم صريح على ألا تحدث قلقلة للمستأجرين .

مسز جاكمان : نعم يا سيدى ، والآن يتعين علينا جميعاً أن نخلى مساكننا : مسز هارفى وآل درو ، ونحن ، وليس هناك كوخ آخر نستطيع الحصول عليه فى ديبواتر .

هلكرست : أعلم هذا . إننى فى حاجة إلى كوخ يسكنه حالب أبقارى . هذا شئ لا يسر أبداً . من أين وصلك الإنذار ؟

جاكمان : من السيد هورنبلوور نفسه يا سيدى . فقد حضر إلينا منذساعة فقط وقال : «آسف . أريد الأكواخ ، ولابد لكما من أن تخلوها»

مسز جاكمان : [فى مرارة] إنه ليس سيداً مهذباً يا سيدى . لقد أنهى إلينا الأمر فى جفاء شديد . لقد ظللنا فى هذا الكوخ ثلاثين سنة ، ولا نعرف الآن ماذا نفعل ، أرجو أن تعذرنا فى مجيئنا هنا يا سيدى .

هلكرست : أظن هذا هو الشىء الطبيعى . هم ! [ينهض ويتوكأ على عصاه ، وهو يعرج متجها إلى المدفأة مخاطباً نفسه] . لقد كشف عن طبيعته الشريرة ! يا للشيطان ! هذا بالله نقض لما تعاهدنا عليه . سأكتب إليه يا جاكمان . بئس هذا الرجل . لو عرفت أنه سيفعل كل هذا لما بعته شيئاً بالتأكيد .

مسز جاكمان : أنا متأكدة من هذا يا سيدى . يقولون إن لهذا الموضوع علاقة بمصانع الخزف . فهو يريد الأكواخ لعماله .

هلكرست : [فى حدة] كل هذا لا بأس به ، ولكن ما كان يجوز له أن يوهمنى بأنه لن يحدث تغييراً .

جاكمان : [فى تثاقل] إنهم يتحدثون عن شرائه (لسنترى) ليقيم عليها مداخن جديدة ، ولهذا يريد الأكواخ .

هلكرست : سنترى ! هذا مستحيل !

مسز جاكمان : نعم يا سيدى . إنها بقعة فى غاية الجمال ، ما أبهى منظرها من هنا . [تنظر من خلال النافذة] إنها أجمل بقعة فى كل ديپووتر ، كما أردد دائماً . لقد كان أبوك هو الذى يملكها ، ومن قبله جدك . ومن المؤسف أنهم باعوها يا سيدى عفواً .

هلكرست : سنترى [يدق الجرس] .

مسز جاكمان : [بدأت حماستها تشتعل] . ما أشد سرورى يا سيدى لاعتزامك وقف البيع . إن الكوخ يؤوينا ولا نعرف إلى أين نذهب ؟ قلت لمستر هورنبلوور ، قلت له بالحرف الواحد « إننى متأكدة أن السيد هلكرست لم يكن ليطردنا أبداً » فقال ليكن السيد هلكرست ملعو ... وعفواً ياسيدى . ثم أضاف «افهمى هذا جيداً . لابد لك أن تخلى الكوخ أيتها السيدة » إنه

لا يعرف حتى أسماءنا . ثم يطردنا على هذا النحو ! إنه رجل محدث رهيب فيما أعتقد بأفكاره المسيطرة عليه . وإذا نظرت إليه خيل إليك أن قدميه ثقيلتان جداً . [فى شيء من الاحتقار الذى يشوبه التسامح] ولكنه فيما يقولون من أهل الشمال — شمال انجلترا .

[دخل فلوز من اليسار]

هلكرست : اطلب من زوجتى أن تتفضل بالحضور .

فلوز : أمرك يا سيدى .

هلكرست : هل دوكر هنا ؟

فلوز : لم يحضر بعد ياسيدى .

هلكرست : أريد أن أراه حالا [ينسحب فلوز]

جاكمان : لقد ذكر السيد هورنبلوور ياسيدى ، إنه قادم إلى هنا ليتحدث إليك فرأينا أن نسبقه إلى ذلك .

هلكرست : هذا صواب يا جاكمان .

مسز جاكمان : لقد قلت لجاكمان : « إن السيد هلكرست سيذود عنا ، أنا واثقة من هذا . إنه جنتلمان .. وقلت إن هذا الرجل لا يعبأ بالجيرة أو الناس . إنه لا يعبأ مادام مكباً على جمع المال ، وشاعراً بأهميته . لن

تتوقع منه هذا فيما أظن .. قلت [فى مرارة] « لقد هبطت عليه النعمة فجــأة » . فالسادة الحقيقيون لا يقدمون على فعل شىء كهذا .

هلكرست : [شارداً] تماما يا مسز جاكمان تماما . [مخاطباً نفسه] سنترى كلا . لن يكون !

[تدخل مسز هلكرست . وهى سيدة تمتاز بحسن الهندام ، ووجهها حازم واضح الملامح]

أوه ! مستر ومسز جاكمان مطرودان من كوخهما ، ومسز هارفى أيضاً وآل درو . عندما بعت لهورنبلوور اشترطت عليه ألا يطرد أحداً منهم .

مسز جاكمان : سينتهى أسبوعنا يوم السبت ياسيدتى ، وأنا واثقة أننى لا أعرف إلى أين نذهب ؛ لأن جاكمان طبعاً يجب أن يسكن بالقرب من عمله . وسأفقد دخلى من غسل الملابس إذا تعين علينا أن نرحل بعيدا .

هلكرست : [فى تصميم] اتركى لى هذا الموضوع يامسز جاكمان ! وداعا ... وداعا يا جاكمان ! آسف لعجزى عن الحركة بسبب هــذا النقرس .

مسز جاكمان : [عنها وعن زوجها] أنا متأكدة أننا فى غاية الأسف يا سيدى ، وداعا ياسيدى ، وداعاً يا سيدتى . وأشكركما أجزل الشكر .
[يخرجان]

هلكرست : أيطرد قوماً ظلوا فى كوخهم ثلاثين سنة ؟ كلا . لن أقبل هذا . إن فى هذا نقضاً للعهد

مسز هلكرست : هل تظن أن هورنباوور هذا يعبأ بشىء من هذا فى كثير أو قليل يا جاك .

هلكرست : يجب أن يعبأ إذا قمنا بتوضيح الأمر له ؛ إذا كان لديه شئ من المشاعر الكريمة .

مسز هلكرست : إنه لا يملك شيئاً منها .

هلكرست : [فجأة] إن آل جاكمان يقولون إنه اشترى «سنترى» ليقيم عليها مزيدا من المداخن

مسز هلكرست : كلا لن يحدث هذا ! [تطل من النافذة] مستحيل ! هذا سيفسد المنطقة تماما . فضلا عن أنه سيفصلنا عن بيت الدوق أوه . كلا ! لن تقوم مسز مولنز بالبيع من وراء ظهورنا .

هلكرست : على كل حال لابد أن أضع حدا لطرده هؤلاء الناس .

مسز هلكرست : [بابتسامة خفيفة تكاد تنم عن احتقار] : كان

يجب أن تتوقع أن يقوم بعمل من هذا النوع ، فأنت تتخيل أن الناس على شاكلتك يا جاك . يجب دائما أن تبين الأمور لدوكر واضحة تمام الوضوح .

هلكرست : لقد قلت بكل وضوح : « طبعا لن نحتاج لإزعاج المستأجرين . فهناك عجز كبير فى عدد الأكواخ » وهنا ذكر لى هورنبلوور بكل وضوح أنه لن يفعل . ماذا تريدين أكثر من هذا ؟

مسز هلكرست : إن رجلا مثله لايفكر إلّا فى أقصر الطرق لنيل بغيته . [تنظر من النافذة تجاه المرتفع] وإذا اشترى سنترى ، وأقام عليها المداخن فلن يسعنا أن نبقى هنا .

هلكرست : سيتململ أبى فى قبره لو حدث ذلك .

مسز هلكرست : كان أجدى ألا يقوم بغمر المزرعة بالمياه وببيع سنترى . إن هورنبلوور هذا يمقتنا إنه يعتقد أننا نشمخ بأنوفنا ونتعالى عليه .

هلكرست : وهذا مانفعله يا أيمى .

مسز هلكرست : ومن ذا الذى لا يفعل ؟ إنه رجل لا أصل له ، لا يؤمن بشىء إلا بالمال وبدفع الغير عن طريقه

هلكرست : لنفرض أنه لن يتزحزح عن موقفه ،

فهل فى وسعنا أن نفعل شيئاً من أجل آل جاكمان ؟

مسز هلكرست : هناك الغرفتان اللتان كان يشغلهما عادة بيقر فوق الحظائر .

[يدخل فلوز]

فلوز : مستر دوكر يا سيدى .

[دوكر رجل قصير ممتلئ أشبه بكلب الصيد (ترير) أحمر الوجه ، يرتدى ملابس الصيد]

هلكرست : آه ! لقد عاودنى النقرس يا دوكر .

دوكر : آسف جدا ياسيدى . كيف حالك ياسيدتى ؟

هلكرست : هل قابلت آل جاكمان ؟

دوكر : نعم .

[لا يكاد ينطق الحروف الأخيرة من الكلمات]

هلكرست : إذن سمعت بما حدث ؟

دوكر : [يومئ برأسه] هذا الرجل الداهيةهورنبلوور يتعجل كل شيء

هلكرست : داهية ؟

دوكر : [مكشراً عن أسنانه] لا فائدة فى الغض من ذكاء جيرانك .

مسز هلكرست : بل هو خسيس فيما أرى .

دوكر : هذا هو الوصف الصحيح ياسيدتى — لقد حصل على المنفعة كلها .

هلكرست : هل سمعت شيئاً عن سنترى يادوكر ؟

دوكر : يريد هورنبلوور أن يتقدم للشراء .

هلكرست : ولكن مسز مولنز لن تبيع أبداً ، أليس كذلك ؟

دوكر : بل إنها تريد .

هلكرست : تريد ! يا للشيطان !

دوكر : وهو لايبالى أى ثمن يدفع .

مسز هلكرست : كم تساوى الأرض يا دوكر ؟

دوكر : هذا يتوقف على الغرض الذى تستخدم من أجله .

مسز هلكرست : إنه يريدها لمجرد النكاية . ونحن نريدها لاعتبارات عاطفية .

دوكر : [مكشراً عن أسنانه] إنهاتساوى إذن ماتريدين أن تدفعيه ثمنا لها . ولكنه رجل موسر.

مسز هلكرست : هذا لايطاق !

دوكر : [مخاطباً هلكرست] حدد الرقم الذى تريده يا سيدى ، وسأحاول مع السيدة العجوز قبل أن يصل اليها .

هلكرست : [مفكراً] أنا لاأريد الشراء إلا إذا لم يكن هناك

مفر من ذلك . فإنه يتعين على تدبير المال برهن المزرعة ، وهى لا تحتمل مزيداً من الرهون ، ليس فى وسعى أن أعتقد أن هذا الرجل سيصبح همجياً إلى هذا الحد. أيقيم المداخن على بعد ثلاثمائة ياردة من هنا ؟ قبالة هذا المنزل مباشرة ! إنه كابوس .

مسز هلكرست : من الخير أن تدع دوكر يتحقق من الخبر يا جاك .

هلكرست : [غير مرتاح] يقول جاكمان ، إن هورنبلوور قادم ليرانى . سأعرض عليه الموضوع .

دوكر : سيجعله هذا أشد لهفة . من الأفضل أن تسبق أنت وتشترى .

هلكرست : أأقلد طرائقه ؟ بئس هذا النقرس . [يعود إلى كرسيه بصعوبة] . انظـــر يا دوكر ، كنت أريد أن أحدثك بشأن البوابات .

فلوز : [يدخل] مستر هورنبلوور .

[يدخل هورنبلوور — وهو رجل متوسط الطول . شعره أسود غزير خشن . عريض الجسم منتفخ الأوداج بفضل ما أصاب من نجاح .
قد وخطه المشيب ، وحواجبه كثة جداً وفمه واسع . وهو يلبس ملابس عادية تماماً ، كأن الأمر فى اختيار ثيابه موكول إلى شخص خبير بهذه الناحية . فى عروة سترته

وردة صغيرة ، وفى يده قبعة من نوع همبرج ، يخالها الناظر أصغر كثيراً من مقاسه] .

هورنبلوور : صباح الخير ! صباح الخير ! كيف حالك يا دوكر ؟ صباح جميل ! جو بديع !

[ينم صوته عن خليط عجيب من النحاس الأصفر والزيت ، ولهجته لاهى بالاسكتلندية الخالصة ، ولا بالإنجليزية الشمالية الخالصة]

لم أرك من مدة طويلة يا هلكرست .

هلكرست : [وقد نهض] منذ أن بعتك لونجمدو وتلك الأكواخ فيما أظن .

هورنبلوور : عجباً ! هذا ما جئتك من أجله .

هلكرست : [يرتمى مرة أخرى فى كرسيه] عفواً . هلا جلست؟

هورنبلوور : [دون أن يجلس] أمصاب أنت بالنقرس ؟ هذا مؤسف إنه لا يصيبنى أبداً ، ليس عندى استعداد للإصابة به ، لم يكن أجدادى من النبلاء كما تعلم ، فلست مسئولا إلا عن مغبة شربى أنا فقط .

هلكرست : أنت سعيد الحظ .

هورنبلوور : وهل هذا ما تظنه مسز هلكرست يا ترى؟ هل من حسن حظى أن ليس لى ماض يا سيدتى ؟ مجرد مستقبل فقط ؟

مسز هلكرست : وهل أنت متأكد أن المستقبل لك يا مستر هورنبلوور ؟

هورنبلوور : [ضاحكاً] هذه طعنة من طعناتكم الأرستقراطية . أنتم معشر النبلاء قوم قساة جداً تحت قناع من الأدب . أنتم منافقون . ولكن المستقبل لى ما فى ذلك شك .

هلكرست : [بلهجة ذات مغزى] كان عندى آل جاكمان هنا يا مستر هورنبلوور .

هورنبلوور : من هؤلاء ؟ هل تعنى الرجل الذى له زوجة ينفث لسانها الشرر ؟

هلكرست : إنهم قوم طيبون ممتازون ، وقد ظلوا يعيشون فى هدوء فى ذلك الكوخ مدى ثلاثين سنة .

هورنبلوور : [يشير بسبابته ، وهى حركة يؤثرها] آه ! لقد أردتنى أن أحرككم قليلاً . إن ديبووتر تحتاج إلى من يحركها قليلاً . إن هناك عموماً من يخرج إذا حللت أنا . لعلكم كنتم تتمنون لو أنى لم أحل هنا . [يضحك]

مسز هلكرست : من المحقق أننا نحب أن يلتزم الناس بعهودهم يا مستر هورنبلوور .

هالكرست : أمى !

هورنبلوور : لا عليك يا هالكرست . فليس هذا بالذى يزعجنى .

[تتبادل مسز هلكرست النظر مع دوكر الذى يتسلل خارجاً دون أن يحس به أحد] .

هالكرست : أنت تعلم أناك وعدتنى بألا تغير المستأجرين

هورنبلوور : حسناً ، لقد جئتاك لأخبرك بأنى قد غيرتهم . لم أكن أتوقع عند ما اشتريت أن أحتاج إلى التغيير . فقد اعتقدت أن الدوق سيبيعنى قطعة صغيرة هناك . ولكن لابد أن يفعل بعد قليل . والآن لابد لى من الحصول على هذه الأكواخ لعمالى . إن لدى مصانع هامة كما تعلم .

هالكرست : [وقد اشتعلت حماسته] إن لآل جاكمان أهميتهم أيضاً ياسيدى . إن قلبهم فى هذا الكوخ .

هورنبلوور : ضع الأمور فى أوضاعها الصحيحة يا رجل. إن مصانعى يعيش عليها آلاف من الناس وقلبى فى هذه المصانع . . وأكثر من هذا إنها مصدر رزق . وأنا رجل طمـــوح — رجل جاد فلو ألقيت بالى لهذا الاعتبار وذاك ، ولكل اعتراض تافه — فماذا أحقق

من مطامحى ؟ لا شيء !

هلكرست : على أى حال ، لعلك تدرك أن مثل هذا العمل لا يفعله الناس .

هورنبلوور : لا تفعله أنت لأنه لا حاجة بك إليه . هأنتذا قانع راض بالعيش على ما خلفه لك آباؤك . ليست لديك مطامح ، وتريد ألا يكون لسائر النـــاس مطامح . كيف حصل آباؤك على أرضاك فى ظنك ؟

هلكرست : [وقد نهض] لم يحصلوا عليها بنقض وعودهم .

هورنبلوور : [يشير بسبابته] إياك ومثل هذا الاعتقـــاد . لقد حصلوا عليها بنقض وعودهم ، وطرد أمثال آل جاكمان — إذا كان هذا هو اسمهم — من المنطقة كلها .

مسز هلكرست : هذه إهانة يا مستر هورنبلوور .

هورنبلوور : لا ، هذا ردّ بديهى على كلامكم . إذا كنتم تفكرون فى آل جاكمان كل هذا التفكير لهم ابنوا كوخاً ، ولديكم ما يكفى من الأرض الفراغ .

هلكرست : هذا خارج عن موضوعنا . لقد وعدتنى ، وبعتك الأرض بناءً على هذا التفاهم بيننا .

هورنبلوور : وأنا اشتريت بناء على ما فهمته من أننى

سأستطيع الحصول على مزيد من الأرض
من الدوق .

هلكرست : لا علاقة لهذا الأمر بي .

هورنبلوور : سترى أن له بك علاقة ، لأنني سأحصل
على هذه الأكواخ .

هلكرست : حسناً ، أنا أسمى هذا كله بكل بساطة ...
[يضبط نفسه] .

هورنبلوور : اسمع يا هلكرست . إنك لم تظفر بفرصة
تمكنك من فهم أمثالى . إن لدى القوة
ولدى المال ، وأنا لا أقنع بما عندى . وأنا
ماض قدماً لأنى مؤمن بنفسى ، ولا اعتبار
عندى للعواطف وما إليها .
إن أربعين من أمثال جاكمان لا يساوون
عندى إصبعى الصغير .

هلكرست : [غاضباً] ما سمعت بمثل هذه الأشياء الفاضحة !

هورنبلوور : ما دمنا نتحدث فى صراحة فسأفضى إليك
برأيى . أنت تريد أن تدار القرية بطريقتك
القديمة ، وأنا أريد أن أديرها بطريقتى أنا .
وأظن أن القرية لا تتسع لكلينا .

مسز هلكرست : متى تبرحها ؟

هورنبلوور : لا تخش شيئاً فلست أنا الذى سيبارحها .

هلكرست : افهم يا مستر هورنبلوور — هذا النقرس الملعون يثير أعصابى — ويضعنى فى موقف ضعيف . ولكن إذا تفضلت بالإفصاح عما فى نفسك أكون شاكراً ..

هورنبلوور : [فى ابتسامة عريضة] مهلاً ، فأنا من رجال الشمال .

هلكرست : قيل لى إنك تريد أن تشترى سنترى . وتقيم مزيداً من مداخنك هناك [يشير من خلال الشباك] بصرف النظر عما تجره على منزلنا الذى نملكه من أجيال وعلى كل متعة لنا هنا .

هورنبلوور : عجباً للرجل كيف يتكلم ! تخاله يملك السماء ، لأن أباه بنى له بيتاً يشرف على منظر جميل ليس فيه ما يفعله سوى أن يعيش . إن مجرد الافتقار إلى عمل شيء يشغلك هو السبب فى عواطفك الرقيقة يا هلكرست .

هلكرست : أرجوك ألا تتهمنى بالخمول . دوكر — أين هو ؟ [يشير إلى المكتب] عند ما تقوم بأحقر الأعمال فى مصنعك بمثل الدقة التى

أقوم بها بأعمال مزرعتى — أصحيح مايقال
عن سنترى ؟

هورنبلوور : صحيح تماماً أن ابنى تشارلى يشتريها فى
اللحظة الراهنة . إن أردت معرفة الحقيقة .

مسز هلكرست : [تلتفت فزعة] ماذا تقول ؟

هورنبلوور : أجل إنه مع السيدة العجوز . هى تريد أن
تبيع ، وستحصل على الثمن الذى تطلبه
مهما يكن .

هلكرست : [بغيظ شديد] إذا لم يكن هذا غشاً ونصباً
يا مستر هورنبلوور، فلست أعرف ما هو.

هورنبلوور : آه . هذا تعبير لطيف جـــداً . « غش
ونصب » ! على كل حال الكلام الجافى
لا يفيد فى شئ اللهم إلا أن يجعل القلوب
أشد قسوة . ولولا وجود سيدة معنا هنا
لأسمعتك كلمة أو كلمتين من هذا النوع .

مسز هلكرست : أوه . أنا واثقة يا مستر هورنبلوور أن مثل
هذا الاعتبار لا يحول بينك وبين ما تريد .

هورنبلوور : وأنا لا أعرف أنه يحول . أنتما عقبة — أعنى
أمثالكما — عقبة فى طريقى . وكل من
يعترض طريقى لا يبقى فيه طويلا . أو
إذا بقى فإنه يبقى بالشروط التى أفرضها

أنا . وشروطي هي إقامة مداخن في سنترى
حيثما أريد . ولعل مما يفيدكما كثيراً جداً
أن تعلما أنكما لستما قادرين على كل شئ .

هلكرست : أهذا حسن الجوار ؟

هورنبلوور : وهل راعيتما حسن الجوار بالنسبة لى ؟ إذا
لم تكن عندى زوجة ، فإن عندى زوجة ابن .
فهل قمتِ بزيارتها ياسيدتى ؟ إننى رجل
محدث أما أنتم فقوم عريقون ، أنتم لاتحبوننى
بل تظنوننى من النوع الذى يزاحم الغير
ويدفعه. أنا أذهب إلى كنيسة مخالفة للكنيسة
الرسمية وأنتم لاتحبون هذا . أنا أصنع أشياء
وأبيعها ، وأنتم لاتحبون هذا . أنا أشترى
الأرض وأنتم لاتحبون هذا لأنه قد يفسد
المنظر الذى تطلون عليه من نوافذكم . حسناً ،
أنا لا أحبكم ولن أسكت على موقفكم
هذا . لقد طال تحكمكم فى الأمور ولن
يتكرر هذا بعد الآن .

هلكرست : هلا حافظت على كلمتك بشأن تلك
الأكواخ .

هورنبلوور : سأستولى على الأكواخ لأنى محتاج إليها

وإلى أكثر منها بعد أن قررت إنشـــاء مصنعى الجديد .

هلكرست : هذا إعلان للحرب .

هورنبلوور : لم تنطق قط بكلمة أصدق من هذه إما أنا وإما أنت . وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن الأمر مآله إلىّ فى النهاية . أنا الشمس المشرقة وأنت الشمس الغاربة كما يقول الشاعر .

هلكرست : [يدق الجرس] سنرى إذا كان فى وسعلك أن تركب هذا المركب الصعب . لقد تعودنا هنا على الأساليب اللطيفـــة المهذبة فى تصرفاتنا ، ولكنك تريد تغيير هذا كله . حسناً ، سنبذل قصارانا لنوقفك عند حدك .

[موجها حديثه لفلوز الواقف بالباب]

أما زال آل جاكمان فى المنزل؟ أطلب منهما أن يتفضلا بالدخول هنا .

هورنبلوور : [تبدو عليه أول علامة من علامات الضيق] لقـــد رأيت هؤلاء الناس . وليس عندى ما أقوله لهم بعد الذى قلته . لقد قلت إننى سأمنحهم خمسة جنيهات لتغطية نفقات النقل .

هلكرست : ألا يخطر ببالك أن هؤلاء الناس مهما

كان شأنهم صغيراً يحبون أن تكون لهم كلمة فى مصيرهم ؟

هورنبلوور : لم تكن لى أنا كلمة فى مصيرى حتى توافر لدىّ المال . وهذا شأن كل إنسان . إن الأمر كله نفـــاق ، وأنتم يا أهل الريف منافقون من الطراز الأول تتحدثون عن اللياقة وما إليها . وما هذا كله فى حقيقته إلا نظرية تلائم من بيده زمام الأمر . إنها طلاء عاطفى زائف . أنت فى صميم نفسك قاس مثلى تماماً .

مسز هلكرست : [وكانت واقفة فى غير ماحراك طوال ذلك الوقت] أنت تطرينا .

هورنبلوور : أبداً . فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون نفسه — هذا هو الدين فى صميمه سأكون عوناً لنفسى ، ليكون الله عوناً لى .

مسز هلكرست : أنا معجبة بمعلوماتك .

هلكرست : نحن على حق والله فى عون ...

هورنبلوور : إياك ومثل هذا الاعتقاد . فليس لديك المقدرة .

مسز هلكرست : وربما ليس لديه الغرور .

هورنبلوور : [يشير بسبابته] كلا . كلا ليس من الغرور

أن يؤمن المرء بنفسه إذا توافرت الدواعى لذلك .

[دخل آل جاكمان]

هلكرست : آسف جدا يامسز جاكمان ، ولكنى أردت فقط أن تدركا أنى بذلت غاية جهدى مع هذا السيد .

مسز جاكمان : [فى شك] نعم ياسيدى . ظننت أنك إذا تحدثت معه مدافعاً عنا سيغير موقفه .

هورنبلوور : ليس هناك فرق بين كوخ وكوخ أيتها السيدة . لقد عرضت عليكم عرضاً عادلا هوأن أدفع خمسة جنيهات لتغطية نفقات النقل .

جاكمان : [فى بطء] لن نقبل خمسين جنيها فى سبيل التخلى عن هذا المنزل . لقد ربينا فيه ثلاثة أطفال ، ومات منا طفلان فيه .

مسزجاكمان : [مخاطبة مسز هلكرست] ثم إننا متعلقون به ياسيدتى .

هلكرست : [مخاطباً هورنبلوور] أتحب أن تطرد من مكان أنت متعلق به ؟

هورنبلوور : كلا . ولكن الاعتبارات الصغيرة يجب أن تفسح المجال للاعتبارات الكبيرة . والآن

سأرفع المبلغ إلى عشرة جنيهات ياسيدتى .
وسأرسل عربة لنقل متاعكم . إذا لم يكن
هذا العرض عادلا ! من الأفضل أن تقبليه
فلن يظل قائما .

[يتبادل جاكمان وزوجته النظر . وينم وجهاهما عن سخط عميق ، ويدور فى خلدهما هذا السؤال : أيهما الذى سيبدأ بالكلام ؟]

مسز جاكمان : لن نقبل يا چورچ . أليس كذلك ؟

جاكمان : أبداً . لقد حللنا بالكوخ عندما تزوجنا

هورنبلوور : [مشيراً بسبابته] أنتم قوم فى غاية التفريط

هلكرست : لا تلق عليهم محاضرة يا مستر هورنبلوور ، فإنهم سيخرجون من هذا الموضوع ، وهم أفضل منك موقفاً بمراحل .

هورنبلوور : [غاضباً] لا بأس ، كنت سأمنحكم مهلة أسبوع آخر ، ولكنكم ستخرجون يوم السبت القادم . وإياكم أن تتخلفوا عن هذا الميعاد ، وإلا وجدتم أمتعتكم ملقاة خارج المنزل فى المطر .

مسز هلكرست : [مخاطبة مسز جاكمان] سنرسل من يحمل إلينا أمتعتكم ،وفى وسعكم أن تقيموا معنا موقتا .

[مسز جاكمان تنحنى شاكرة ، وعيناها تطعنان هورنبلوور]

جاكمان : [فى تثاقل ، وهو يضم قبضتيه مهدداً] لست بالجنتلمان ! لا تغرنى بالشر . هذا كل ما عندى

هلكرست : [فى صوت خفيض] جاكمان !

هورنبلوور : [بلهجة المنتصر] هل سمعت هذا ؟ هذا هو الرجل الذى تدافع عنه ! تنح عن طريقى أيها الرجل ، وإلا أبلغت عنك الشرطة بسبب تهديداتك .

هلكرست : من الأفضل أن تذهب الآن يا جاكمان

[يتوجه مستر ومسز جاكمان نحو الباب]

مسز جاكمان : [مستديرة] ربما ندمت على ذلك يوما ما يا سيدى .

[يخرجان ، وتتبعهما مسز هلكرست]

هورنبلوور : حسن . إننى آسف لأن آل جاكمان غير معقولين إلى هذا الحد لم ألق فى حياتى قوما مثلهم ، ليس عندهم أدنى فكرة عن مصلحتهم .

هلكرست : وأنا لم أقابل فى حياتى شخصـــاً مثلك صفيق الجلد .

هورنبلوور : بالله ما معنى هذه العبارة ! ! لا حاجة بك إلى التستر خلف هذه الكلمات الطويلة بعد أن

ذهبت زوجتك العزيزة .

هلكرست : [فى وقار] لن أدخل معك فى معركة سباب فإنى أمقت سلوكك مقتا شديدا

هورنبلوور : اسمع ياهلكرست ، ليس لى اعتراض عليك شخصيا ، فأنت تبدو لى إنسانا مسكينا لا بد من تركك لنقرسك وكرامتك ولكنك تستطيع بالطبع أن تتراذل جدا قبل أن ينتهى أمرك . إننى أريد أن أكون الروح المحركة هنا ورأسى ملىء بالمشروعات والخطط ، وسأرشح نفسى للبرلمان ، وسأجعل هذه البقعة رخية مزدهرة .. أنا رجل لطيف دمث ، إذا عاملتنى على هذا الإعتبار فعاملنى معاملة الجيران بكل ما تقتضيه هذه المعاملة ، وسأستغنى عن المداخن فى سنترى . اتفقنا ؟

[يمد يده]

هلكرست : [متجاهلا إياها] ظننتك قد ذكرت أنك لا تعبأ بكلمة ارتبطت بها إذا وجدت من الملائم التحلل منها ؟

هورنبلوور : إياك والتعالى ، فأنت وأنا نستطيع أن نكون أصدقاء مخلصين ، ولكنى أستطيع أيضاً أن

أكون خصما لدوداً ، ومنظر المداخن من ذلك الشباك لا يسر . أليس كذلك؟

هلكرست : [شديد الغضب] إذا ظننت يا مستر هورنبلوور أنني سأضع يدى فى يدك بعد مسألة جاكمان هذه ، فأنت مخطئ تماماً . إنك تعرض على أن أقف فى صفك فى الوقت الذى تبغى فيه على الجيران . أرجوك أن تفهم أنه مالم تترك هؤلاء السكان وشأنهم ، دون إزعاج كماسبق أن وعدت ، فلن يعرف أحدنا الآخر

هورنبلوور : حسناً ، وهذا لن يكدرنى كثيراً . والأفضل لك الآن أن تتدبر الأمر ، فأنت مصاب بالنقرس . وهذا يدفعك إلى التسرع . سأكرر عليك ما قلته : لست أنا الذى يستهان بعداوته ، وما لم تكن لطيفاً على فأقسم لك إننى سأفسد المنظر الذى يطل عليه بيتك [يسمع نفير سيارة] هذه سيارتى . فقد أرسلت تشيرلى وزوجته لشراء سنترى . ولا تخدعن نفسك ، فهى فى جيبه . هذه فرصتك الأخيرة يا هلكرست ، فأنا لا أكرهك بوصفك إنساناً ، بل أعتقد أنك أحسن الحضريات

الموجودة هنا . وأعتقد على الأقل أن فى
وسعك أن تلحق بى أكبر الضرر من الناحية
الاجتماعية هيّا إذن .

[يمد يده مرة أخرى]

هلكرست : لن أفعل حتى لو اشتريت سنترى عشر مرات.
إن طرقك ليست طرقى ، وليس لى بك شأن
على الإطلاق . هورنباوور [فى غضب شديد] .
صحيح ! حقيقة ؟ حسناً جداً . لقد آن
الأوان لأفضى إليك بنبأ ، أتعرف أننى محيط
بك من جميع النواحى تقريباً [يرسم دائرة
فى الهواء ببطء] أنا فى (أپهل) والمصنع هنا .
هنا [لونجمدو] وهنا سنترى التى فرغت لتوى
من شرائها . ولم تبق إلا هذه الأرض
المشاع التى تصلك بالعالم . وبينك وبينها
الطريق العمومى . سأكون على الطريق
العمومى هنا إلى شمالك ، وسأحيط بك على
الطريق أيضاً إلى القرب منك . وعندما أقيم
مصنعى الجديد على سنترى سأنشئ طريقاً
للترولى بين المصنعين تصل إلى الطريق من
طرفيه ، وهكذا ستجرى بضائعى فى كل

مكان حولك . ما رأيك فى وضع بيتـــك
الريفى هكذا ؟

[هلكرست لا يحير جواباً فهو حانق لدرجة لا يستطيع معها الكلام ، ويمشى وقد نسى عصاه حتى يصل إلى باب الشرفة . . وبينما هو واقف هناك وظهره إلى هورنبلوور يفتح الباب الذى إلى اليسار على مصراعيه وتدخل (چل) يتقدم تشارلز وزوجته (كلو) و (رولف) . وتشارلز شاب فى حوالى الثامنة والعشرين أقرب إلى الوسامة ، ذو شارب وحول ياقة صديريه شريط أبيض . وهو يضع يده خلف ظهر (كلو) كما لو كان يمنعها من الفرار . وهى شابة أقرب إلى الجمال ، عيناها سوداوان ، وشفتاها حمراوان ممتلئتان تضع مسحوقاً خفيفاً جداً . وملابسها تتناسب مع جو الريف . أما رولف ، الذى يأتى فى المؤخرة ، فهو فى حوالى العشرين من عمره ، له وجه منبسط الأسارير وشعر خشن نوعاً ما فى لون الزبد . تعدو (چل) نحو أبيها عند النافذة ومعها زجاجة .

چل : [بصوت خفيض هادئ] انظر يا أبى لقد أحضرت الأسرة كلها . أليست هذه أشبه بالوليمـــة يا أبى العزيز ؟ وهـــذه عدتها هالو !

[هذه الكلمة الأخيرة سببها ارتيابها فى أن شجاراً قد وقع . ينحنى هلكرست إنحناءة بسيطة جامدة من مكانه عند الشباك . تقف چل على كثب منه وهى تحملق فيمن حولها واحداً تلو الآخر ، ثم تنفرد بوالدها وتشغله

بالحديث . ذهب تشارلز إلى أبيه وهو ساكن يكظم شره بعد أن ألقى خطبته . كلو ورولف يقفان فى ارتباك ، وهما منتظران بين المدفأة والباب]

هورنبلوور : حسناً يا تشيرلى ؟

تشارلز : لم أوفق .

هورنبلوور : لم توفق ؟ ! !

تشالز : كنت قد انتهيت معها تقريباً إلى أنها ستبيع بثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه ، وإذا هذا الرجل دوكر .

هورنبلوور : هذا الرجل الذى يشبه الكلب ! لقد كان هنا منذ لحظة قصيرة . أوه ، هو ! هذه هى الحكاية إذن !

تشارلز : لقد سمعته يعدو على جواده ، ثم يتجه نحو السيدة العجوز رأساً ، وينتحى بها بعيداً . ولا أدرى ما قال لها بالضبط . ولكنها عادت وعلى وجهها أمارات الرزانة والتعقل ، ثم قالت إنها ستفكر فى الموضوع ، وإن لديها آراء أخرى .

هورنبلوور : هل أخبرتها بأنها ستحصل على الثمن الذى حددته هى .

تشارلز : هذا ما عرضته عليها بالفعل تقريباً .

هورنبلوور : ثم ماذا ؟

تشارلز : لقد رأت من الأوفق أن تطرحها فى المزاد . وكانت هناك استشارات أخرى . أوه ! ما أشبهها بالطـــائر العجوز ! — إنها تذكرنى بصورة من صور « القـــدر » فى الأساطير اليونانية القديمة أليس كذلك .

هورنبلوور : مزاد ! حسناً ، إذا لم تكن سنترى قد ذهبت بالفعل فما زلنا نستطيع الحصول عليها . تباً للقزم دوكر . لقـــد تشاجرت مع هلكرست .

تشارلز : ظننت هذا .

[يلتفتان فى حذر ليريا هلكرست وإذا چل تخطو إلى الأمام]

چل : [محمرة الوجه مصممة] ليس هذا من الأمانة فى شيء يا مستر هورنبلوور . [يخطو رولف أيضاً إلى الأمام عند ما يسمع كلامها] .

هورنبلوور : يجب أن تستمعي إلى الطرفين قبل أن تقولى هذا الكلام يا آنستى .

چل : ليس هناك أى طرف آخر فى مسألة طرد آل جاكمان بعد أن قطعت على نفسك العهد .

هورنبلوور : أوه ! يا إلهى طبعاً . إن هؤلاء الناس لاوزن لهم فى المشاريع التى عندى للنهوض بهذه المنطقة .

چل : لقد كنت حتى الآن فى صفك . ولكنى لن أفعل بعد الآن .

هورنبلوور : رباه ! وماذا سيحدث لى ياترى ؟

چل : لن أقول شيئاً فيما يختص بهذا الموضوع الآخر لأنى أعتقد أن مقتضيات الكرامة تدفعنى إلى إغفاله . ولكن طرد الفقراء من أكواخهم أمر يدعو إلى الخجل حقا .

هورنبلوور : يا إلهى

رولف : [بغتة] أصحيح أنك أقدمت على عمل كهذا يا أبى ؟

تشارلز : اسكت يا رولف !

هورنبلوور : [مهاجماً رولف] ها ! عصبة من الشباب . اسمع أيها الفتى الطائش ، أغلق فمك واترك لمن هم أكبر منك تدبير ما يرونه صالحا .

[يهب رولف واقفاً ويعض شفتيه تحت تأثير ذلك الرد الجاف . ثم يدفع رأسه إلى أعلى]

رولف : إننى أمقت هذا !

هورنبلوور : [فى غل شديد] أوه ! تمقته أليس كذلك ؟

تستطيع فى هذه الحالة إذن أن تخرج من بيتى .

چل : إنهاحرية التعبير يامستر هورنبلوور . لاتكن عنيفا .

هورنبلوور : أنت على حق يا آنستى . تستطيع أن تبقى فى بيتى يارولف وتتعلم الأدب . تعال يا تشيرلى .

چل : [فى رقة بالغة] يامستر هونبلوور !

هلكرست : [من الشباك] چل .

چل : [متلملة] ما الفائدة ؟ إن الحياة أقصر وأجمل من أن تضيعها فى الشجار .

رولف : براڤو .

هورنبلوور : [وقد بدأ يضعف] اسمعى لن أسمح بالتمرد بين أفراد عائلتى . وعليك أن تدركى أن رجلا ظل يكدح مثلى حتى وصل إلى هذا المركز ، رجل يعرف الحياة مثلى ، خير من يستطيع الحكم على الأمور ، وسأكون مسئولا عن أعمالى أمام الله لا أمامكم أنتم أيها الشبان .

چل : مسكين هذا الإله !

هورنبلوور : [وقد صدم حقاً] يالك من فتاة مُلْحِدة

[موجهاً الحديث لرولف] وأنت أيضاً مثلها أيها المفكر الحر الصغير . لن أسمح بهذا .

هلكرست : [وقد نزل وظهر فى ناحية اليمين] أرجـــو أن تتفضلى بالإمساك عن الكلام يا چل .

چل : لا أستطيع .

تشارلز : [يضع ذراعه فى ذراع هورنبلوور] تعال ياأبى العبرة بالأفعال لا بالأقوال .

هورنبلوور : نعم ! العبرة بالأفعال !

[دخل دوكر ومسز هلكرست من باب الشرفة]

مسز هلكرست : هذا صحيح ! [يستديرون جميعاً وينظرون إليها]

هورنبلوور : آه ! إذن فقد سلطت كلبك على الصفقة [يتجه لدوكر بحركة من إصبعه] ما أذكاك إننى أشهد لك بذلك .

مسز هلكرست : [تشير إلى كلو وكانت واقفة وحدها منسية متلملة طوال المنظر] هل لى أن أسأل من تكون هذه السيدة ؟

[كلو تستدير مجفلة ، وحقيبة الزينة التى تحملها قد سقطت منها على الأرض]

هورنبلوور : لا تسألى يا سيدتى ، لأنك تعرفينها تمام المعرفة .

چل : لقد أحضرتها إلى هنا يا أمى .

[تذهب إلى جوار كلو]

مسز هلكرست : هل لك أن تخرجها من هنا ثانية إذن ؟

هلكرست : أمي ، أرجوك أن تتذكرى ...

مسز هلكرست : إن هذا هو منزلى ما دام الأمر متعلقاً بالسيدات .

چل : أماه !

[تنظر فى دهشة إلى كلو التى كانت توشك أن تتكلم ولكنها لا تفعل ، وتنقل النظر بين مسز هلكرست ودوكر وعلى عينيها تعبير غريب فيه شيء من الفزع]

[توجه كلامها لكلو] إننى آسفة جدا . تعالى

[تنصرفان من ناحية اليسار . يعدو رولف خلفهما]

تشارلز : لقد أهنتِ زوجتى . لماذا ؟ ماذا تقصدين من وراء هذه الإهانة ؟

[مسز هلكرست تبتسم لا أكثر]

هلكرست : إننى أعتذر . آسف أشد الأسف . ليس هناك ما يدعو سيدات أسرتك أو أسرتى إلى التورط فى منازعات تخصنا فلنقاتل بالله كما يقاتل السادة المهذبون .

هورنبلوور : شقشقة لسان ! سندخل فيما تطلق عليه يا هلكرست اسم اللعبة الغادرة بدون قفازات. لن يرحم أحدنا الآخر . خذوا الآن حذركم ، لأنى أقسم أن الأمر بعد اليوم سيصبح فى

نظرى جداً لا هزلاً . أما أنت يا دوكر ،
أيها الكلب الماكر فتظن أنك نبيه جداً .
ولكنى مع ذلك سأحصل على سنترى .
تعال يا تشيرلى .

[ينصرفان، مارين بچل وقد عادت إلى الداخل من
خلال الباب]

هلكرست : حسناً يا دوكر ؟

دوكر : [مبتسما ابتسامة صفراء] لا خطر مؤقتاً . فإن
السيدة العجوز ستطرح سنترى فى المزاد .
لم يكن فى وسعى أن أحولها عن هذا قيد
شعرة . وهى تقول إنها لا تريد الإساءة إلى
أى من الجارين . ولكن لو سألتنى عن
رأيى قلت إنها تريد مزيداً من المال .

چل : [متجهة نحوها] والآن يا أمى .

مسز هلكرست : ماذا ؟

چل : لماذا أهنتها ؟

مسز هلكرست : أظن أن كل ما فعلته هو أن طلبت منك
أن تخرجى بها .

چل : لماذا ؟ حتى لو كانت زوجة لابن رجل
الصناعة العجوز ؟

مسز هلكرست : يا عزيزتى چل ، دعينى أتخير نوع الناس

الذين أريد العترف بهم .

[تنظر إلى دوكر]

چل : ليس عليها من غبار . كثير من النساء فى هذه الأيام يضعن المساحيق ويصبغن شفاههن . أعتقد أنها أقرب إلى الطيبة ؛ لقد اضطربت جداً .

مسز هلكرست : أكثر مما ينبغى .

چل : أوه ! دَعْك من هذا الغموض يا أمى . إذا كان فى صدرك شىء فانفثيه !

مسز هلكرست : أتريد منى أن ... أنفثه يا جاك ؟

هلكرست : دوكر ، إذا لم يكن لديك مانع .

[دوكر يهز رأسه ويخرج من باب الشرفة]

التزمى الأدب يا چل وكونى مهذبة فى حديثك .

چل : لم يكن هذا جواباً يا أبى . لقد أشعره بالخجل ، إن إهانة من لم ينطقوا بكلمة وهم فى بيتك فيه من ... من الخسة ما فى رجل مثل هورنبلوور العجوز .

مسز هلكرست : أنت لا تعرفين ما تتحدثين عنه .

هلكرست : أى بأس بزوجة ابن هورنبلوور ؟

مسز هلكرست : معذرة فإنى أريد أن أحتفظ بأفكارى فى

الوقت الحاضر لنفسى .

[تنظر إلى چل فى برود وتخرج من النافذة الفرنسية]

هلكرست : لقد كدرت أملك غاية التكدير يا چل .

چل : الذى كدرها شيء أخبرها به دوكر . لقد رأيتهما . إننى لا أحب دوكر يا أبى ، فإن له خلق السوقة .

هلكرست : ليس فى وسعنا جميعاً يا عزيزتى أن نكون من الخاصة ، ولكنه على شيء كبير من سعة الحيلة . يجب عليك أن تعتذرى لوالدتك .

چل : [تهز خصلات شعرها المقصوص] سيجبرانك يا أبى على الإتيان بأشياء لا توافق عليها ، إذا لم تكن متيقظاً . وأمى عند ما تواتيها الفرصة تمعن فى التشفى . وإذا كان هورنبلوور العجوز مؤذياً فلن يشفع لنا هذا أن نكون مثله .

هلكرست : وهكذا تعتقدين أن فى استطاعتى ... هذا لطيف منك يا چل !

چل : لا لا ياعزيزى ! كل ما هنالك ، إنى أود أن أحذرك تحذيراً جديا أن أمى ستخبرك بأنك تناضل بشرف بغض النظر عما تفعله هى ودوكر .

هلكرست : [مبتسما] لاأظن أنني رأيتك ياچل جادة هكذا .

چل : كلا. لأن .. [كأنها تبتلع شيئاً فى حلقها] حسنا كنت قد بدأت أستمتع بالحياة ، والآن لن نجنى غير المرارة والعنف ، بعد أن أصبحت أمى فى هذه الحالة النفسية . وهذا الرجل العجوز الفظيع ! أوه يا أبى ! لا تدع هذا الأمر يغير من طبيعتك السمحة ويجعلك فظيعا ! فأنت لطيف جدا يا أبى العزيز . كيف حال النقرس معك ياحبيبى

هاكرست : أحسن ، أحسن بكثير .

چل : هذا مصداق كلامى . فقد ثبت أن هذا الموضوع يهمكم أنتم أيها الكبار ، إلى حد ما ولكنه لايهمنا نحن الصغار.

هلكرست : اسمعى ياچل ... هل هناك شىء بينك وبين هذا الفتى ... ما اسمه ... رولف ؟

چل : [تعض شفتيها] كلا ... ولكنى ... فهمت الآن كل شىء .

هلكرست : لن تتوقعى منى أن آسف على هذا .

چل : لا أعنى هراء مما يقال عن حلم الحب الصغير . ولـــكنى أحب أن تكون لى

صداقات . أريد أن أستمتع بالحياة يا أبى
ولا متعة إذا تمكن الكراهية من النفوس
وأنت ستخوض فى بحر هذه الكراهية
وأنا أيضاً — أوه ! إننى أعلم أننى سأشارك
فيها أيضاً ! — سنشارك فيها جميعاً ،
ولن نفكر فى شىء إلا فى أن يناصر كل
منا فريقه .

هلكرست : ألست مغرمة ببيتك ؟

چل : طبعاً . إننى أحبه .

هلكرست : حسناً . لن تتمكنى من العيش فيه مالم
نوقف هذا الوغد عند حده . المداخن
والدخان ، والأشجار المقطوعة وأكوام
من الفخار . كل دنس ورجس . انظرى
[يشير] تصورى ... [يشير من خلال النافذة
الفرنسية ، كما لو كان يرى تلك المداخن تحجب
جمال الحقول] لقـــد ولدت هنا ، ومن
قبلى أبى ، وأبوه وأبوه ثم أبوه . كانوا
جميعاً يحبون هذه الحقول وهذه الأشجار
العتيدة . ثم يأتى هذا الهمجى بمشروعات
التحسين التى يدعيها ، حقا ! لقد تعلمت

ركوب الخيل فى مراعى (سنترى) أجمل مراعى الربيع فى العالم . لقد تسلقت كل شجرة هناك . أى شىء جعل أبى يبيع ... ولكن من كان يتصور هذا ؟ وهذه المسألة تثار الآن فى وقت شحّ فيه المال .

چل : [تربت على ذراعه] أبتاه !

هلكرست : نعم . ولكنك ياچل ، لاتحبين هذه البقعة مثلما أحبها . يخيل إلى أحياناً أنكم معشر الشباب لا تحبون شيئاً .

چل : بل أحبه يا أبى . أحبه !

هلكرست : كل شىء مكشوف أمامك الآن . ولكن قد تعيشين حياتك كلها دون أن تعثرى على شئ لطيف جميل كهذا البيت العتيق*. لن اسمح بتشويهه دون مقاومة ونضال .

[يشعر هلكرست بأنه قد استسلم لعواطفه فيخرج من النافذة الفرنسية من جهة اليمين . تنظر چل وهى تتبعه نحوها ، ثم تطرح رأسها إلى الخلف وتعقد يديها خلفه]

چل : أوه .. أوه .. أوه .

[يناديها صوت من الخلف «چل» فتلتفت وتجفل

وتستند إلى الجزء الأعلى من النافذة جهة اليمين . يظهر
رولف خارج النافذة من جهة اليسار] .

چل : من القادم ؟

رولف : [مستنداً إلى الجزء الأعلى من النافذة جهة اليسار]
عدو .. يبحث عن حقيبة كلو .

چل : مر يا عدو ! وكل شيء على غير مايرام .

[يمر رولف من خلال النافذة الفرنسية ويلتقط
حقيبة كلو من الأرض ثم يأخذ مكانه مرة أخرى عند
الجزء الأعلى من النافذة الفرنسية جهة اليسار] .

رولف : لن يؤثر هذا علينا . أليس كذلك ؟

چل : أنت تعرف أنه سيؤثر .

رولف : إن الذنوب ذنوب الآباء .

چل : يكفر عنها الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع .
ما الذنب الذى ارتكبه أبي ؟

رولف : ليس هناك ذنب بالمعنى المفهوم . كل
ما هناك أنى كثيراً ما بينت لك أننى لا أفهم
لماذا تعاملوننا معاملة الغرباء . إننا لا نحب
هذا النوع من المعاملة .

چل : حسناً ، إذ يجب ألا تكونوا غرباء أقصد يجب ألا يكون هو غريباً .

رولف : إن أبي إنسان كأبيك سواء بسواء . وهو شديد التعلق بنا ، وكل سعيه وجريه فى سبيلنا . أتحبين أن تعاملى بالطريقة التى عاملت بها أملك كلو ؟ إن أملك ضربت المثل لغيرها من الكبار المتغطرسين هنا . فليس هناك من يزورها .

ولم لا يفعلون ؟ لم ؟ أعتقد أن من الحقارة أن نضع حاجزاً بيننا وبين الناس لمجرد أنهم محدثون ، كما تقولون ، ولأن عليهم أن يبنوا بأيديهم مركزاً لهم بدلا من أن يجدوه معداً لهم .

چل : ليس السبب أنهم محدثون ولكن ... إذا تصرف أبوك تصرف الجنتلمان فلا شك أنه كان سيعامل بالمثل .

رولف : صحيح ؟ لا أعتقد . إن أبى رجل قدير جداً . ويعتقد أن من حقه أن يكون له نفوذ هنا . ولكن كل من هنا يحاول أن يحُطّ من قدره . أوه . نعم إنهم يفعلون .

وهذا يثير جنونه ويجعله أكثر تصميما على إدراك ما يريد . يجب أن تكونى منصفة يا چل .

چل : أنا فعلا منصفة .

رولف : كلا ، لست كذلك . ثم أى علاقة لهذا بتشارلى وكلو ؟ كلو بالذات لا يمكن أن تؤذى أحداً . وهذا يسبب لها ألماً شديداً . لم يكن أبى يتوقع أن يزوره الناس إلى أن تزوج تشارلى ، ولكن منذ زواج . . .

چل : أعتقد أن المسألة كلها فى غاية التفاهة .

رولف : هى كذلك — مسألة علىّ وعلى أعدائى يا رب — كنت أظنك أنت أرفع من هذا .

چل : كيف تسكت على تشويه بيتك ؟

رولف : لن أدخل معك فى نقاش . ولكن الأمور لا تبقى كما هى . والبيوت مثل غيرها من الأشياء ليست فى مأمن من التغير .

چل : حسناً ! حاولوا أن تأتوا وتأخذوا منا بيتنا .

رولف : لا نريد أن نأخذ بيتكم .

چل : كما فعلتم مع آل جاكمان ؟

رولف : وهو كذلك . فإنى أراك متحيزة تحـيزاً لا يجدى معه شيء .

[يستدير ليذهب]

چل : [تقول فى رقة وهو يتوارى] عدو ؟

رولف : [ملتفتاً] نعم ، عدو .

چل : قبل أن نبدا المعركة ، دعنا نتصافح .

[يتحرك كل منهما مبتعداًعن مكانه من النافذة ويقبض على يد الآخر فى وسط النافذة الفرنسية] .

يسدل الستار

جاكمان وزوجته

المنظر الأول

غرفة البلياردو فى فندق من فنادق مدن الأقاليم ، حيث تشترى الأشياء وتباع . المنظر يتجه كثيراً إلى مقدمة المسرح ، وعرضه ليس كبيراً . ويمثل طرف الغرفة التى يجرى فيها الدلال المزاد ، حيث نرى إلى يسار المسرح منضدة ضيقة وكرسيين مواجهين للجمهور لجلوس الدلال ووقوفه . أما المنضدة وهى موضوعة إلى الأمام وخلفها الأنوار السفلية فقد تناثرت عليها قوائم بمحتويات المزاد مغطاة بغطاء أخضر . ويتكون الجمهور فى الواقع من مزايدين وسائر المتفرجين . هناك باب إلى اليسار على مستوى واحد مع المنضدة . وبمحاذاة الحائط الخلفى وراء المائدة «دكتان» مرتفعتان لاسبيل إلى الجلوس عليهما إلا بعد تسلق درجتين من الدرجات ، كما هو الشأن فى غرف البلياردو ، وبينهما باب فى وسط حائط حشوه من خشب البلوط . . شمس أواخر سبتمبر تظهر من خلال كوة فى السقف (لا ترى) وتنعكس على المقعدين . المسرح خال عند ما يرتفع الستار ولكن دوكر ومسز هلكرست يدخلان من الباب عند الخلف .

دوكر : أفسحى لهم الطريق من هنا ياسيدتى . هل ترين هورنبلوور العجوز ومعه تشارلى ؟

[يشير للجمهور فى أسفل]

مسز هورنبلوور : المزاد يبدأ فى الثالثة . أليس كذلك ؟

دوكر : لن يتحروا الدقة الشديدة فى افتتاح المزاد . ليس هناك إلا بيع سنترى . ها هى زوجة ابن هورنبلوور الشابة ومعها الابن الآخر [مشيراً] هناك عند المدخل . لقد أحضرت معى من المدينة هـــذا الشاب الذى حدثتك عنه .

مسز هورنبلوور : آه ! تأكد منها تماما يا دوكر . فأى خطأ ستكون له أوخم العواقب .

دوكر : [يومئ برأسه] هذا صحيح يا سيدتى . أناس كثيرون يجدون من الفراغ دائماً ما يمكنهم من مشاهدة المزادات — هل لاحظتِ هذا ها هو وكيل الدوق هنا . لن أستغرب لو دخل فى المزاد .

مسز هورنبلوور : أين تركت زوجى ؟

دوكر : مع مس چل فى الفناء . إنه قادم إليك . أخبريه ، فيما لولم أتمكن من إخباره ، أن يتمخط عندما أصل فى المزايدة إلى الحد الأعلى الذى وضعه ؛ ويريد هو أن أستمر وعندما يتمخط للمرة الثانية سأتوقف نهائياً

آمل ألا نصل إلى هذا الموقف . فإن هورنبلوور العجوز لا يبعثر أمواله .

مسز هورنبلوور : ما هو الحد الأعلى الذى اتفقتما عليه ؟

دوكر : ستة آلاف !

مسز هورنبلوور : هذا ثمن مخيف ، على كل حال أرجو لك التوفيق يا دوكر !

دوكر : وأنا أتمنى لك التوفيق ياسيدتى . سأذهب وأبحث هذه المسألة الصغيرة المتعلقة بمسز كلو . لاتخافى أبداً ، سنتغلب عليهم بطريقة ما .

[يغمز بعينه ويضع إصبعه على جانب من أنفه ، وينصرف من الباب]

[مسز هلكرست تتسلق الدرجتين وتجلس إلى يمين الباب ، وتضع منظاراً طويل المقبض . وإلى الخلف منها كلو ورولف قادمين من خلال الباب . تشير إليه أن يذهب ثم تغلق الباب] .

كلو : [قبل أن تهم بصعود الدرجتين – فى المدخل – تقول بلهجة فيها عامية طفيفة] مسز هلكرست !

مسز هلكرست : [تجفل قليلا] عفوا !

كلو : [مرة ثانية] مسز هلكرست .

مسز هلكرست : نعم .

كلو : أنا لم ألحق بك أى أذى قط .

مسز هلكرست : وهل قلت قط إنك فعلت ؟

كلو : كلا ، ولكنك تتصرفين كما لو كنتُ قد فعلت .

مسز هلكرست : لا أشعر بأنى تصرفت إطلاقاً بعد . أنت لا شئ بالنسبة لى ، فيما عدا كونك فرداً من أفراد عائلتك .

كلو : لست أنا التى تريد أن تفسد عليك منظر بيتك .

مسز هلكرست : أوقفيهم عند حدهم إذن . إننى أرى زوجك هنا ومعه أبوه .

كلو : أنا .. حاولت .

مسز هلكرست : [تنظر إليها] أوه ! أظن أن مثل هؤلاء الرجال لا يلقون بالا إلى ما يطلبه النساء .

كلو : [فى ومضة من الجرأة] إننى مغرمة بزوجى . أنا . . .

مسز هلكرست : [تنظر إليها فى ثبات] لست أعرف بالضبط لم تكلمت معى ؟

كلو : [بنوع من الضيق الذى يدعو للرثاء] كل ماهنالك أنى اعتقدت أنك ربما أردت أن تعامليني باعتبارى مخلوقاً آدميا .

مسز هلكرست : أريد فى الحقيقة ، إن لم يكن لديك مانع أن أترك وشأنى الآن .

كلو : [توافق فى ابتئاس] بالتأكيد ! سأذهب إلى الطرف الآخر .

[تتحرك ناحية اليسار ، تصعد الدرجات ثم تجلس]

[رولف ينظر من خلال الباب ويرى مكانها فيلحق بها . مسز هلكرست تنتقل أبعد قليلا ناحية اليمين] .

رولف : [منحنياً فى اتجاه كلو ، بعد أن نظر إلى مسز هلكرست نظرة سريعة] هل أنت بخير ؟

كلو : الحر فظيع هنا .

[تروح بالورقة التى تتضمن محتويات المزاد]

رولف : ها هو دوكر . إننى أكره هذا الرجل !

كلو : أين هو ؟

رولف : هناك . هل تبصرينه ؟

[يشير إلى أسفل ناحية اليمين من الغرفة]

كلو : [ترتمى إلى الخلف فى مقعدها بشهقة صغيرة] أوه !

رولف : [لم يلاحظ] من الذى يجلس بجانبه ويتطلع إلى هنا ؟

كلو : لا أعرف .

[ترفع الورقة التى تتضمن محتويات المزاد إلى أعلى فجأة وتجلس لتروح بها مخفية وجهها فى حرص]

رولف : [ينظر إليها] ألست بخير ؟ هل آتيك بقليل من الماء ؟

[ينهض بعد أن تومئ برأسها]

[عند ما يصل إلى الباب يدخل هلكرست وچل . يمر

عليه هلكرست شارد الفكر ويحييه بإيماءة ، ثم يجلس بجوار زوجته] .

چل : [لرولف] هل أقبلت لترانا ونحن نطرد ؟

رولف : [مؤكداً] كلا . إننى أعنى بكلو ؛ فصحتها ليست على مايرام .

چل : [ترمقها بنظرة خاطفة] آسفة . لم يكن ضرويا أن تحضر أليس كذلك ؟

[رولف لا يحير جواباً . ينصرف]

[چل تنظر إلى كلو ثم إلى أبويها وهما يتحدثان بصوت خفيض ، ثم تجلس إلى جوار والدها الذى يفسح لها مكاناً]

مسز هلكرست : هل يستطيع دوكر أن يراك وأنت فى هذا المكان ياجاك ؟

[هلكرست يومئ] كم الساعة ؟

هلكرست : الثالثة إلا ثلاث دقائق .

چل : ألا تشعر بألم خلف ساقيك فى «بطن» رجليك يا أبى .

هلكرست : نعم .

چل : وأنت يا أمى ؟

مسز هلكرست : كلا .

چل : عندما كنا فى الفناء مرت علينا عربة تابعة لمصانع الفخار التى يملكها هورنبلوور العجوز . هذا نذير سوء .

مسز هلكرست : لا تكونى بلهاء يا چل .

چل : انظرى إلى الوحش العجوز ! أبى ، أمسك بيدى .

مسز هلكرست : تأكد من أن لديك منديلا يا جاك .

هلكرست : لا أستطيع أن أتجاوز الستة آلاف . وسيتعين علىّ أن أحصل على كل بنس من هذا المبلغ بالرهن . فالمزرعة لا تحتمل هنا أكثر من هذا بكل بساطة يا إيمى .

[يتحسس جيب الصديرى ويشد أطراف منديله]

چل : أوه . انظر ! إنها مس مولنز فى الخلف . قدمت لتوها . أليست عجوزاً شمطاء ؟

مسز هلكرست : جاءت للشماتة . الحق أن رفضها للعرض الذى تقدمت به يدعو للاشمئزاز فى رأيى . وما تزعمه عن حيادها ليس إلا وسيلة للحصول على أعلى سعر ممكن .

هلكرست : لا أستطيع أن ألومها على محاولتها الحصول على ماتستطيع أن تحصل عليه ، إنها الطبيعة البشرية . أف . إننى أشعر الآن بمثل ما كنت أشعر به دائماً قبل الامتحان الشفوى . من هذا الذى يجلس بجوار دوكر؟

چل : ما أشبهها بالسمكة العجفاء !

مسز هلكرست : [مخاطبة نفسها] آه ! نعم .

[تنزلق عيناها ناحية كلو التى تجلس ساكنة بلا حراك غارقة فى كرسيها تروح ببطء بالورقة التى تشمل محتويات المزاد]

اذهب يا جاك وقدم لها هذا النشادر لتشمه .

هلكرست : [يتناول النشادر] شكرا لله على هذه العاطفة الإنسانية !

مسز هاكرست : [مأخوذة] أوه ! أنا . . .

چل : [توجه نظرة سريعة إلى أمها ثم تختطف النشادر] سأفعل .

[تذهب إلى كلو ومعها النشادر]

شمى . فلونك شاحب جداً .

كلو : [تنظر إليها فى جفول] أوه ! كلا ، أشكرك . أنا بخير .

چل : كلا ! أرجوك أن تشمى ! لابد .

[كلو تتناول النشادر]

چل : هل تسمحين لى بنظرة لمدة دقيقة ؟

[تتناول الورقة المبين فيها محتويات المزاد وتدرسها ولكن كلو قد دفنت الجزء الأسفل من وجهها فى يدها وفى زجاجة النشادر] .

فظيع . أليس كذلك ؟ يحسن أن تحتفظى بهذه الزجاجة .

كلو : [عيناها السوداوان تدوران فى قلق] ذهب رولف ليحضر لى قليلا من الماء .

چل : لماذا تبقين هنا ! لم تكونى تريدين المجىء إلى هنا ، أليس كذلك ؟

[تهز كلو رأسها]

حسن ! ها هو الماء الذى طلبته .

[ترد الورقة التى تشمل محتويات المزاد ثم تتسلل إلى مقعدها مارة برولف فى الممر وذقنها مرفوع إلى أعلى] .

[مسز هلكرست وكانت تراقب كلو وجل ودوكر وصديقه ، تسأل بحركة من يدها ولكن الجواب الذى حصلت عليه لا يطمئنها]

چل : كم الساعة يا أبى ؟

هلكرست : [ينظر إلى ساعته] الثالثة وثلاث دقائق .

چل : [متنهدة] أوه يا للجحيم !

هلكرست : چل .

چل : آسفة يا أبى . كنت فقط أفكر . انظر ! هاهو أف .. أليس . . . ؟

مسز هلكرست : اسكتى . !

[يحضر الدلال من اليسار ويذهب إلى المنضدة . وهو رجل ربعة قصير القامة أسمر الوجه سوقى المنظر وشعره الأشيب المقصوص يناسبه كما لو كان غطاء لرأسه وشاربه مقصوص أشيب . جفونه تتدلى على

عينيه اللاحتين حتى يستطيع أن يدقق النظر جيداً، على حين لا تستطيع أن تتحقق مما إذا كان يراك . وفى وسعه أن يتصنع الابتسام فى أية لحظة كأن الابتسامة شيء منفصل عنه، على أن نظرة الاستياء التى ينظر بها عند ما تسير حركة المزايدة ببطء تدل على أنه ليس دلالا وحسب، بل إن فيه عناصر من الإنسان. ويستطيع أن يغمز بعينيه لأى إنسان وهو يلبس سترة بنية ذات صديرى مفكوك وياقته واطئة مقلوبة إلى أسفل وربطة عنقه صغيرة ملونة بالأبيض والأسود . بينما يسوى أوراقه يجلس آل هلكرست فى توتر . فرغت كلو من شرب الماء المقدم لها ، وألقت بنفسها إلى الخلف مرة أخرى ، وقد قربت النشادر من أنفها . يميل رولف إلى الأمام فى مقعده إلى جوارها وينظر جانباً إلى جل . وفى أثناء ذلك لحق محام ذو لحية شيباء بالدلال عند منضدته] .

الدلال : [ينقر على المائدة] آسف لتخييب آمالكم بعض الشيء أيها السادة . ولكن ليس عندى ما أقدمه لكم اليوم سوى عقار واحد فقط رقم ١ (سنترى ديپواتر) رقم ٢ فى القائمة سحب . رقم ٣ أى بدكوت وهو قصر ريفى لطيف ومزارع فى أبرشية (كنواى) لا بد من إرجائها إلى الأسبوع القادم . وعندئذ يسعدنى أن أبيعها لكم بدون تحفظ [ينظر مرة أخرى إلى المحتويات الموجودة فى

القائمة التى فى يده ويترك للجمهور وقتاً كى يكيف نفسه وفقاً لما قاله] والآن أيها السادة ، كما قلت لكم ، ليس عندى إلا عقار واحد للبيع . العقار رقم ١ قطعة أرض مرغوبة جداً تصلح لزراعة القمح وتربية الحيوانات وتصلح أيضاً للسكنى لأنها أشبه بالمتنزه تلك هى (سنترى ديپواتر) عقار لا مثيل له فرصة ممتازة لهـــذا الجمهور الممتاز . [بابتسامته المعهودة] جدير بثمنها أن يبلغ ثمن العقارات الثلاثة التى كنا نود أن نطرحها للبيع . والآن تفضلوا بالاستماع إلى شروط البيع . سيتولى المستر بلنكارد قراءتها ولن ترهقكم لأنها مختصرة جداً .

[يجلس وينقر على المنضدة نقرتين صغيرتين]

[ينهض المحامى ويقرأ شروط البيع بصوت لا يستطيع أحد أن يسمعه تقريباً . وفيما هو يهم بقراءة شروط البيع يدخل تشارلز هورنبلوور من الخلف . يقف لحظة ويلقى نظرة على آل هلكرست ويفتل شاربه ثم يتقدم إلى زوجته ويلمسها]

تشارلز : كلو ، ألست بخير ؟

[ينحسر وجهها تماماً أمام الجمهور حين تجفل]

تشارلز : تعالى هنا بعيداً عن طريق هؤلاء الناس

[يهز رأسه نحو آل هلكرست . تنظر كلو نظرة

سريعة إلى المسرح على يمين الجمهور] .

كلو : كلا . أنا بخير . الحرارة أشد هناك .

تشارلز : [موجهاً كلامه لرولف] حسناً ، اعتن بها لابد لى أن أعود .

[يومئ رولف برأسه موافقاً . تشارلز يعود فى خفة إلى الباب وهو ينظر نظرة خاطفة إلى آل هلكرست حيث كانت مسز هلكرست بالذات ترقب ما يجرى بكل دقة كأنها الصقر . ينصرف رولف حين يجلس المحامى بعد انتهائه من القراءة]

الدلال : [ينهض وينقر على المائدة] والآن أيها السادة ، مثل هذه القطعة من الأرض لا تطرح فى السوق دائماً . ماذا تقول؟ [موجهاً كلامه لصديق أمامه] ليس هناك أرض أفضل منها فى ديپواتر — هذه هى الحقيقة ياسيد سپيسر . أنا أعرف القرية جيداً وهى مكان ممتع جداً . والموقع ممتاز ، بكل تأكيد . والآن لا أريد أن أثقل عليكم بسرد مزايا هذه الأرض . فها هى — ماؤها وفير — أشجارها التى تعطى الخشب كثيرة — ليس هناك قيود على زراعة أشجار الخشب أيها السادة وليس هناك مستأجرن يقفون فى سبيلكم وأنتم أحرار فيما تفعلونه بها ابتداء من الغد .

وموقع الأرض عظيم وهو أصلح ما يكون لإقامة بيت وهى تقع بين ممتلكات الدوق وممتلكات العمدة هلكرست — فكأنها جزيرة من الزمرد [بابتسامته] . لا أقصد الإشارة إلى أيرلندة أيها السادة . هنا الهدوء التام فى سنترى . ليس هناك مثلها فى المقاطعة كلها ، موقع يوافق السادة ولن يعرض لكم مثلها كل يوم [ينظر إلى هورنبلوور فى يسار المسرح] وللمالك حق استغلال صخورها وربما وجد فيها طين ديپواتر الثمين جدا . بم أبدأ ثمنها ؟ هل أستطيع أن أقول ثلاثة آلاف ؟ ليكن أى رقم تحبون أن تذكروه . لن أوفق فى هذا . هيا . هيا . يبدو أن لديكم وقتا أكثر منى . مائتا فدان من أجود المراعى ومزارع القمح وفيها موقع ليس له مثيل فى المقاطعة كلها يصلح لإقامة بيت . وكل الإمكانيات ؟ والآن ماذا أقول ؟

[عرض من سپيسر]

ألفان [بابتسامة] لن يضيرك هذا يا مستر سپيسر . إنها تساوى الثمن ولو لمجرد

الإشراف منها على أراضى الدوق بألفين
[عرض من هورنبلوور إلى يسار المسرح]
وخمسة . أشكرك ياسيدى . ألفان وخمسمائة
[متحدثاً إلى صديق يجلس أسفله مباشرة]
هيا يامستر ساندى ، لاتحك رأسك لتفكر .
[عرض من دوكر فى يمين المسرح]
وخمسة . عرض بثلاثة آلاف لهذه الأرض
المرغوبة ، ما هذا ؟ إنكم تزايدون كأنها أرض
لا طلب عليها . هيا أيها السادة . شيئاً من
الجرأة . [صمت قصير] .

چل : لم لا أستطيع أن أرى المزايدين ؟

هلكرست : آخرهم كان دوكر .

الدلاّل : بثـــلاثة آلاف . [هورنبلوور]
ثلاثة آلاف وخمسمائة ؟ هل أقول أربعة ؟
[عرض من وسط المسرح] لا . لن أشتط
معكم . سأقبل عروضاً بالمئات : عرض
بثلاثة آلاف وستمائة [هورنبلوور]
وسبعه . ثلاثة آلاف وسبعمائة و ...
[يصمت ويتفرس فى الجمهور]

چل : من كان ذلك يا أبى ؟

هلكرست : هورنبلوور . والدوق فى الوسط .

الدلاّل : هيا أيها السادة . لا تربطونى هكذا طول

اليوم . هل أقول أربعة آلاف ؟ [دوكر]
أشكرك . بدأنا . وواحد ؟ [عرض من الوسط]
أربعة آلاف ومائة [لهورنبلوور] أربعة
آلاف ومائتان . ماذا تعرض يا سيدى ؟
[لدوكر] وثلاثة . عرض بثلاثة آلاف
وثلثمائة . ليس هناك مثل هذا الموقع فى المقاطعة
كلها أيها السادة لن أبيع هذه الأرض إلا بالثمن
الذى تستحقه ومهما عرضتم فهى تستحق
أكثر . [يبتسم] [لهور نبلوور] أربعة آلاف
وخمسمائة [عرض من الوسط] وستمائة [لدوكر]
وسبعة [لهورنبلوور] وثمانية . هل أقول
تسعة ؟ [ولكن الوسط قد نضب معينه] [لدوكر]
وتسعة . [لهورنبلوور] خمسة آلاف . عرض
بخمسة آلاف هذا أفضل . بدأت الحركة
تنشط . بخمسة آلاف .

[يتوقف وهو يتحدث إلى المحامى]

هلكرست : هذه مبارزة الآن .

الدلاّل : والآن أيها السادة . لن أفرط فى هذه
الأرض . عرض بخمسة آلاف [لدوكر]
ومائة [هورنبلوور] واثنين [دوكر] وثلاثة
عرض بخمسة آلاف وثلاثمائة . هل قلت

وخمسة ياسيدى ؟ [لهورنبلوور] عرض بخمسة آلاف وخمسمائة .

[ينظر إلى قائمة المحتويات]

چل : [وتكاد تتميز من الغيظ] هذا عدو يا أبى .

الدلال : ستندمون على هذه الفرصة . ولات ساعة مندم كما يقول الشاعر .

هل أقول خمسة آلاف وستمائة ياسيدى ؟ [لدوكر] عرض بخمسة آلاف وستمائة [لهورنبلوور] وسبعه [لدوكر] وثمانية . خمسة آلاف وثمانمائة جنيه . ها نحن نتقدم قليلا ولكننا لم نصل بعد إلى القيمة الحقيقية [لحظة صمت بينما يمسح جبينه لنجاح جهوده] .

چل : هل هذا العرض منا يا أبى ؟

[يومئ هلكرست . تنظر چل إلى رو لف وقد جمد وجهه . كلو لم تتحرك قط . مسز هلكرست تهمس فى أذن زوجها] .

الدلال : العرض الآن خمسة آلاف وثمانمائة . خمسة آلاف وثمانمائة . هيا أيها السادة ، تقدموا بعروضكم . لم نهزم . أشكرك ياسيدى . [لهور نبلوور] خمسة آلاف وتسعمائة و ... [لدوكر] ستة آلاف . عرض بستة آلاف . ستة آلاف ! سنترى أحب

موقع فى المقاطعة كلها .. . ستذهب بثمن
بخس ستة آلاف فقط .

هاكورست : [متمتماً] بخس ! يا لله !

الدلال : هل هناك أية زيادة على هذا المبلغ ؟ هيا
أيها السادة ، لن نقف عند هذا الحد .
شيئا من الجرأة ستة آلاف ؟ بستة آلاف ؟
بستة آلاف جنيه ؟ حسنا جدا . . سأبيعها
بستة آلاف — واحد [ينقر على المائدة] بستة
آلاف — اثنان [ينقر على المائدة] .

چل : [بصوت منخفض] أوه ! لقد حصلنا عليها !

الدلاّل : ومائة ياسيدى ؟ [لهورنبلوور] عرض بستة
آلاف ومائة [يلمس المحامى ذراعه ويقول له
كلاماً ، يجيب عنه الدلال بهز رأسه] .

مسز هورنبلوور : تمخط ياچاك .
[هلكرست يتمخط]

الدلاّل : بستة آلاف ومائة . [دوكر] واثنين
أشكرك . [هورنبلوور] وثلاثة . بستة
آلاف وثلثمائة . [دوكر] وأربعة .
بستة آلاف وأربعمائة جنيه . هذه الأرض
التى يتمناها الجميع . بستة آلاف وأربعمائة
جنيه . هذا تفريط أيها السادة .

مسز هلكرست : تفريط !

الدلاّل : العرض القائم بستة آلاف وأربعمائة [هورنبلوور] وخمسة . [دوكر] وستة . [هورنبلوور] وسبعة . [دوكر] وثمانية .

[لحظة صمت يأتى أثناءها وافد من الباب الذى إلى اليسار يشير إلى المحامى فينهض ويحادثه].

هلكرست : [يتمتم] هذا آخر ما عندى .

الدلاّل : بستة آلاف وثمانمائة جنيه . ستة آلاف وثمانمائة جنيه . واحد [ينقر على المائدة] اثنان [ينقر]. للمرة الأخيرة . هذا الموقع الذى يسيطر على كل ما حوله . [هورنبلودر] وتسعة . أشكرك . ستة آلاف وتسعمائة جنيه .

[أخرج هلكرست منديله]

چل : أوه ! أبى !

مسز هلكرست : [مرتعشة] لا تستسلم !

الدلاّل : هل أقول سبعة آلاف ؟ [دوكر] سبعة آلاف

مسز هلكرست : [تهمس] احتفظ بالثمن منخفضاً . لا تظهر نيتك .

الدلاّل : بسبعة آلاف . ستذهب بسبعة آلاف . .

واحـــد . [ينقر على المائدة] اثنـــان .
[هور نبلودر] ومائة . أشكرك يا سيدى .
[يتمخط هلكرست . چل وقد غص حلقها ترجع إلى
الوراء فى مقعدها وتعقد ذراعيها على صدورها بشدة .
تمر مسز هلكرست بمنديلها على شفتيها . وتجلس
دون حراك . هلكرست لا يبدى حراكاً هو الآخر]
[توقف الدلال ليتحدث إلى المحامى الذى عاد إلى مقعده]

مسز هلكرست : أوه ! جاك .

چل : اثبت يا أبى . اثبت !

الدلاّل : والآن أيها السادة . عندى عرض بسبعة
آلاف ومائة لسنترى . والتعليمات تقضى
بأن أبيع ما لم أحصل على عرض أكبر .
إن الثمن معقول ولكنه ليس ثمناً كبيراً .
[موجهاً كلامه لصديقه المستر سپيسر] . أهذا
الثمن باهظ ؟ [بابتسامته المعهودة] . حسن .
أنت الحكم فى كونه باهظاً أو غير باهظ .
والآن من يعرض على سبعة آلاف ومائتى
جنيه ؟ ماذا ، أليس هناك أحد ؟ على
كل لا أستطيع أن أخبركم أيها السادة .
بسبعة آلاف ومائة . واحد [ينقر
على المائدة] اثنان [ينقر] .
[چل تصدر عنها آهة قصيرة]

هلكرست : [فجأة بصوت غريب] ومائتين .

الدلاّل : [يلتفت فى دهشة ويتطلع ليرى هلكرست وهو يهز رأسه] أشكرك ومائتين . سبعة آلاف ومائتين . [يستدير فى مقعده ليستطيع الاشراف على هلكرست وهور نبلوور كليهما] ؛ هل تتفضل وتذكر عرضك ؟ [هورنبلوور] وثلاثة . [هلكرست] وأربعة . سبعة آلاف وأربعمائة. بسبعة آلاف وأربعمائة . [هورنبلوور] خمسة . [هلكرست] ستة . بسبعة آلاف وستمائة . [فترة صمت] حسناً أيها السادة . هذا أفضل . ولكن مثل هذه الأرض التى لا نظير لها لابد أن يدفع فيها ثمن لا نظير له . إمكانياتها ضخمة . [لهورنبلوور] ثمانـية آلاف هل ذكرت هذا الثمن يا سيدى ؟ ثمانية آلاف ، ستباع بثمانية آلاف جنيه . [لهلكرست] ومائة . [لهورنبلوور] ومائتين [لهلكرست] وثلاثة [لهورنبلوور] وأربعة . [لهلكرست] وخمسة بثمانية آلاف وخمسمائة . قطعة أرض عظيمة بثمانية آلاف وخمسمائة . [يمسح جبينه]

چل : [فى صوت هامس] أوه . يا أبى !

مسز هلكرست : هذا يكفى يا چاك . لابد من التوقف عند حد ما .

الدلال : بثمانية آلاف وخمسمائة . واحد [ينقر] اثنان [ينقر] [لهورنبلوور] وستمائة [لهلكرست] وسبعة . هل لى أن أسمع عرضك يا سيدى . [لهورنبلوور] وثمانية .

هلكرست : تسعة آلاف .

[تنظر إليه مسز هلكرست وهى تعض شفتيها ولكنه غارق فى أفكاره ، منصرف عنها تماماً]

الدلال : تسعة آلاف لهذه الأرض العجيبة . كيف ! إن الدوق ليدفع هذا المبلغ لو أدرك أن هذه الأرض ستشرف على أرضه . والآن يا سيدى [لهورنبلوور . لا يحصل على جواب] مجرد زيارة بسيطة ؟ [لا يحصل على جواب] بتسعة آلاف . سنترى فى ديپواتر بتسعة آلاف . واحد [ينقر] اثنان [ينقر] .

چل : [بصوت خافت] لنا !

[صوت من أقصى الخلف فى وسط المسرح] وخمسمائة

الدلال : [مندهشاً وقد مد ذراعيه فى اتجاه الصوت] وخمسمائة . بتسعة آلاف وخمسمائة . هل

لى أن أسمع عرضك يا سيدى ؟ [ينظر إلى هورنبلوور . لا يحصل على جواب]

[المحامى يخاطبه]

مسز هلكرست : [هامسة] لا بد أنه الدوق مرة أخرى.

هلكرست : [يمر بيده على جبينه] لقد أسكته هذا الصوت على كل حال .

الدلال : [ينظر إلى هلكرست] بتسعة آلاف وخمسمائة

[هلكرست يهز رأسه]

مرة أخرى . ستترى ديبواتر بتسعة آلاف وخمسمائة . واحد [ينقر] اثنان [ينقر]

[يتوقف وينظر مرة أخرى إلى هور نبلوور وهلكرست] . للمرة الأخيرة . تسعة آلاف وخمسمائة [ينقر] [متجهاً بنظرة منه إلى المزايد]

مستر سمولى . حسنـــا ! [فى ارتياح تام]

انتهينا ! يكفى هذا اليوم أيها السادة .

[ينصرف الدلال والمحامى إلى أوراقهما . وتأخذ الغرفة فى الخلو من الناس] .

مسز هلكرست : سمولى ؟ سمولى ؟ أهذا وكيـــل الدوق يا چاك ؟

هلكرست : [وقد أفاق من شبه غيبوبة بعد هذه الدوامة التى كان فيها] ماذا ؟ ماذا ؟

چل : أوه يا أبى . لقد ثبت كالأبطال !

هلكرست : أف من كل هذا الصخب لقد زايدت بأقصى ما أستطيع . ومن رحمة الله أن الدوق تدخل مرة أخرى .

مسز هلكرست : [وهى تنظر إلى رولف وكلو وقد وقفت على أهبة الذهاب] ألق بالك فهما يستطيعان سماعك . ابحث عن دوكر يا چاك .

[إلى أسفل يجمع الدلال والمحامى أوراقهما وينصرفان من جهة اليسار] .

[يتمطى هلكرست وينهض واقفاً كما لو كان ينفض عنه آثار العناء والجهد . ويفتح الباب الخلفى ويظهر منه هورنبلوور] .

هورنبلوور : لقد رفعت على الثمن كثيراً وكنت تزايد فى جرأة شديدة ياهلكرست ، ولكن لم تستطع مجاراتى تماماً .

هلكرست : أوه ! لقد زايد الدوق بعد أن وصلت أنا إلى تسعة آلاف . لقد ذهبت سنترى لجنتلمان والحمد لله .

هورنبلوور : تقصد الدوق ؟ [يضحك] كلا . إن سنترى لم تذهب لجنتلمان أومعتوه . ولكنها ذهبت لى .

هلكرست : ماذا ؟

هورنبلوور : أنا أرثى لك . فلست أهلا لتدبير مثل هذه

الأمور . حسن ، إنه ثمن فاحش ، وقد تعين على أن أدفعه بسبب عنادك . ولن أنسى هذا عند ما أشرع فى البناء .

هلكرست : أتعنى أن الذى زايد كان يزايد لحسابك ؟

هورنبلوور : طبعاً هذا ما أعنيه . لقد قلت لك إنى رجل صعب المراس لمن يتصدى لى . لعلك تصدقنى الآن .

هلكرست : هذه خدعة قذرة .

هورنبلوور : [بحقد] ماذا قلت عنها .. لعبة غادرة ؟ تذكر أننا نلعب لعبة غادرة ياهلكرست .

هلكرست : [يضم قبضتيه] آه لو كنا أحدث سنا .

هورنبلوور : أجل لا يليق بنا أن نتلاكم . سندع الملاكمة للشبان [ينظر إلى رولف وچل ؛ ثم يحذر رولف فجأة بحركة من إصبعه] إياك والتودد إلى هذه الفتاة . لقد كنت أراقبك . وأنت أيتها الآنسة ابتعدى عن ابنى .

چل : [بغضب مكتوم] هل تسمح لى يا أبى أن أبصق فى عينه أو أفعل شيئاً من هذا القبيل

هلكرست : اجلسى .

[تجلس چل . ويقف هو بينها وبين هور نبلوور]

لقد فزت بهذه الجولة يا سيدى ، بضربة

خائنة غير مشروعة . سنرى إذا كان في وسعك أن تستفيد منها بأى شكل أعتقد أن القانون يمكن أن يحول بينك وبين الإضرار ببيتى .

هورنبلوور : أرح نفسك من هذه الناحية فالقانون لا يستطيع . لقد أوقعتك في « الحية » وسأشنقك .

مسز هلكرست : [فجأة] إذا كنت ستستخدم ضدنا هذه الأساليب القذرة فسنفعل الشيء نفسه .

هلكرست : إيمى .

مسز هلكرست : [لا تعيره اهتماماً] لن نقف عند هذا . سنخرجك خارج نطاقنا .

هورنبلوور : أنا بعيد عن نطاقكم بالفعل ولكنى محيط به من كل ناحية ، ولن يطول مقامكم في ديبواتر يا سيدتى . خذى أهبتك للرحيل . ستغادرين هذا المكان في ظرف ستة أشهر أتنبأ لك بهذا . وخيرا سيكون رحيلكم لأهل المنطقة .

[ينزلون جميعاً الآن إلى مستوى المهاترة]

كاو : [تقترب فجأة من مسز هلكرست] ها هو النشادر ، أشكرك . عمى ألا نستطيع ... ؟

هورنبلوور : [مندهشاً] ألا أستطيع ماذا ؟

كلو : ألا تستطيع أن تسوى هذه المسألة ؟

مسز هلكرست : بالضبط ألا تستطيع أن تسوى هذه المسألة يا مستر هور بناوور ؟

هوربناوور : [ينقل عينيه بينهما] مادمنا بسبيل الصراحة ياسيدتى ، فإنى أصارحك بأن ساوكك نحو زوجة ابنى — وهى لا تقل عنك بل هى أفضل منك فى نظرى — كان من أكبر الأسباب التى دفعتنى إلى شراء سنترى . لقد أثرتمونى وعاديتمونى فلا جدوى إذن من التراشق بالكلام إن كلامك هذا يا كلو ينم عن روح التسامح الكبير من جانبك ولكن هيا بنا .

مسز هلكرست : أنا جادة كل الجد يا مستر هوربناوور من الأفضل أن تصل إلى تسوية .

هوربناوور : على السيدات يامسز هلكرست أن يعنين بشئونهن .

مسز هلكرست : سأفعل .

هلكرست : إيمى دعى المسألة لنا نحن الرجال . أنت أيها الشاب [يتحدث إلى رولف] هل توافق على الخدعة التى قام بها والدك هذا المساء .

[تنظر چل فى اتجاه رولف ، وفيما هو يهم بالكلام يتدخل هوربنلوور]

هوربنلوور : أى خدعة قمت بها ؟ وماذا تسمى محاولتك ؟ تحريض ابنى علىّ ؟

چل : [مخاطبة رولف] ماذا تقول ؟

رولف : لا أوافق ، ولكن . . .

هوربنلوور : خدعة ؟ اسكت أنت أيها الشبل الصغير . لقد استخدم مستر هلكرست مندوبا يزايد لحسابه — وأنا أيضا كان لى مندوب يزايد لحسابى ولكن مندوبه زايد أولا ومندوبى زايد آخرا . فأى خدعة فى هذا ؟ [يضحك] .

هلكرست : لا فائدة ، أنتم فى وادٍ ونحن فى وادٍ .

هوربنلوور : أتمنى من الله أن يكون هذا هو الوضع . تعالى يا كلو . وأنت يا رولف اتبعنا . سأقيم هذه المداخن فى ظرف ستة أشهر وستسير عربات النقل الخاصة بى حولك فى كل اتجاه .

مسز هلكرست : إذا بنيت يا مستر هوربنلوور . . .

هوربنلوور : [ينظر إلى مسز هلكرست] هذه فى الحق مسألة تدعو للضحك . لقد جعلتمونى أدفع تسعة آلاف وخمسمائة جنيه فى مقابل

قطعة أرض لا تساوى أكثر من أربعة آلاف ، وتظنون بعد ذلك أننى لن أنتقم منكم . سأمضى لغايتى دون أى اعتبار لكم ، كما لو كنتم أسرة من الخنافس طاب مساؤكم !

رولف : أبى !

چل : أوه يا أبى . إنه بذىء .

هلكرست : تحياتى يا مستر هورنبلوور .

[هورنبلوور يأخذ بذراع كلو وهو يحملق فى وجه هلكرست الذى ارتسمت عليه ابتسامة خفيفة ، ويكاد يجرها جراً إلى الباب الذى إلى اليسار . ولكن عند الباب يقف فى المدخل دوكر ورجل غريب . ينتحيان جانباً ليبتعدا عن طريق الخروج وينظران إلى كلو التى تترنح بل تكاد تسقط على الأرض] .

هورنبلوور : كلو ! ماذا دهاك ؟

كلو : لا أعرف . ولكن صحتى اليوم ليست على ما يرام .

[تتماسك فى عناء]

مسز هلكرست : [بعد أن تتبادل إيماءة مع دوكر والرجل الغريب] يا مستر هورنبلوور ، إنك تركب الخطر إذا بنيت . وهذا تحذير منى .

هورنبلوور : [يستدير نحوها ليكلمها] أتظنين أنك هادئة

الأعصاب حاذقة التفكير . ولكنى أخشى
أن تكون هذه هى المرة الأولى التى
اصطدمت فيها بحقائق الحياة . أما أنا فقد
جابهت هذه الحقائق طول حياتى ، فلا
تحدثينى يا سيدتى إذن عن الخطر ، وما
شاكل هذا الهراء فلن يجدى معى . لقد
نعتنى زوجك نعتاً باللاتينية لم أكن أدرى
معناه ، فلست أعرف اليونانية ولا اللاتينية
ولا كل ما يدخل فى هذا الباب ، ولكنى
فتشت عنها فى القاموس فوجدت أنها تعنى
الشخص الصفيق الجلد . ولن يضيرنى أن
أكون كذلك حين أتعامل مع مثلكم ، طاب
مساؤكم !

[يسحب كلو إلى الأمام ويمران خلال الباب يتبعهما
رولف بسرعة]

مسز هلكرست : شكراً يا دوكر .

[تتقدم إلى دوكر والشخص الغريب جهة اليسار
ويأخذون فى الحديث]

چل : أبى ! هذا فظيع .

هلكرست : لا حيلة إلا أن نتحمل النتائج . مسكين
هذا البيت القديم ! سيحيله مغسلا لأوانيه .
وعلى أرض سنترى سيقذف بحذائه . يا إلهى !

أكاد أبكى يا چل !

چل : [مشيرة] انظر ! ها هى كلو جالسة . كاد أن يغمى عليها منذ لحظة . والسبب يتصل بدوكر يا أبى وهذا الغريب الذى معه . انظر إلى أمى ! هل لك أن تسألها .

هلكرست : دوكر !

[دوكر يتجه إليه تتبعه مسز هلكرست]

ما هو السر الغامض الذى وراء زوجة ابن هورنبلوور ؟

دوكر : ليس هناك سر غامض .

هلكرست : ما هى المسألة إذن ؟

مسز هلكرست : من الأفضل ألا تسأل .

هلكرست : أريد أن أعرف .

مسز هلكرست : اخرجى يا چل وانتظرينا .

چل : غير معقول يا أمى .

مسز هلكرست : لا يليق بفتاة مثلك أن تسمع هذا الكلام

چل : هراء . أنا أقرأ الجرائد كل يوم .

دوكر : لن يكون أسوأ مما تقرئينه فيها على كل حال

مسز هلكرست : هل تسمحين لابنتك أن ...

چل : هذا شىء يدعو للسخرية يا أبى . ففى سنى هذه يخيل لمن يرانى أننى كأمى .

مسز هلكرست : لم أكن فخورة مثلك هكذا بما أعرفه .
چل : كلا ! ولكن كانت لديك المعرفة على كل حال يا عزيزتى .
هلكرست : ما هى الحكاية . . ما هى الحكاية ؟ تعال هنا يادوكر .

[دوكر يتوجه إليه من جهة اليمين ويتحدث بصوت منخفض]

ماذا ؟ [مرة أخرى يتحدث دوكر بصوت منخفض]

يا إلهى !
مسز هلكرست : بالضبط .
چل : يا للأسف .. أيا كان الأمر !
مسز هلكرست : يا للأسف ؟
چل : ماذا حدث من قبل يا أمى .
مسز هلكرست : الذى يهم لحسن الحظ هو ما سيحدث من بعد .
هلكرست : كيف عرفت هذا ؟
دوكر : صديقى هنا [يشير إلى الغريب] كان أحد الذين استخدموها .
هلكرست : هذا شيء مفزع . آسف لأنى سمعت ما دار بينكما .
مسز هلكرست : لقد أخبرتك ألا تفعل .

هلكرست : ادع صديقك هنا .

[دوكر يومئ له فيدخل الغريب ويشارك المجموعة]

هل أنت متأكد مما قلته ياسيدى ؟

الغريب : تماماً . إنى أذكرها جيداً . كان اسمها حينئذ ...

هلكرست : لاأحب أن أعرف. شكراً . أنا آسف حقاً. حتى أعدى أعدائى لاأريد أن أعرف عن إحدى نساء أسرته شيئاً كهذا . هذا لايجوز التحدث فيه .

[تتعلق چل بذراعه وتضمه]

مسز هلكرست : لن نتحدث فيه لو التزم مستر هورنبلوور جانب الحكمة . أما إذا لم يفعل فلا مفر من ذلك .

هلكرست : أنا أرفض يا إيمى . لن أسمح بهذا . هذا هذا سلاح قذر . ومن يلمس القار لابد أن تتلطخ يده .

مسز هلكرست : حسن ، وأى نوع من الأسلحة يستخدمه ضدنا ؟ لا تكن مثاليا ! أكبر الظن أنهم على علم بالأمر ، فإن لم يكونوا على علم به فيجب أن يعرفوه . إن خلاصنا فى معرفتنا بهذا السر ، ولابد أن نستخدمه .

چل : [بصوت منخفض] القار ! يا أبي ! القار !

دوكر : إن مجرد التهديد كاف . هو يريد أن يكون صاحب الشأن هنا — ويبنى كنيسة للمنشقين ، ويصبح نائبا للدائرة . .

هلكرست : [وقد داخله الشك أكثر من ذى قبل] نستخدم معلومات نعرفها عن امرأة ، هذا شئ تشمئز منه النفس . . لا . . لن أفعل هذا .

مسز هلكرست : لو حدث وتزوج ابنك امرأة مثل هذه غشا وخديعة ، أتحب أن تبقى على جهلك بالأمر ؟

هلكرست : [وقد هزه السؤال] لا أعرف — لا أعرف .

مسز هلكرست : على الأقل تحب أن تكون فى موقف يمكنك من مد يد العون له إذا وجدت ذلك ضروريا ؟

هلكرست : ربما ، إذا كان هذا هو الواقع .

مسز هاكرست : فأنت توافق إذن على أن مستر هور نباوور على الأقل يجب أن يحاط علما ، ولا شأن لنا بعد ذلك بما هو صانع بهذه المعلومات .

هلكرست : [موجهاً حديثه إلى الغريب وإلى دوكر بالتناوب] أتعلم أن اتهاماً من هذا القبيل قد يصلح أساساً لرفع قضيته ؟

الغريب : أعلم هذا تمام العلم . ولكن ليس هناك ظل من شك . ولا أدنى شك . ألم ترها منذ لحظة ؟

هلكرست : رأيتها [يثور اشمئزازاً مرة أخرى] . كلا . لا أحب هذا .

[جذب دوكر الغريب خطوة أو اثنتين بعيداً، وأخذا يتجاذبان الحديث]

مسز هلكرست : [بصوت منخفض] وماذا تقول فى خراب بيتنا ؟ أنت تخون آباءك يا چاك .

هلكرست : لا أطيق الزج بامرأة فى هذا الموضوع .

مسز هلكرست : نحن لا نزج بها . ولكن إذا كان هناك من سيزج بهـا فذلك الشخص هو هورنبلوور نفسه .

هلكرست : نحن نستخدم سرها كوسيلة من وسائل الضغط .

مسز هلكرست : أقولها لك بصراحة . لن أوافق على كتمان سرها ما لم توافق على أن يحاط هورنبلوور بالأمر . إن وجود امرأة كهذه بين جيراننا فضيحة .

چل : إن أمى تعنى ما تقول يا أبى .

هلكرست : اسكتى أنت ياچل . هذا موقف مؤلم جداً . ولا أستطيع أن أقطع فيه برأى .

مسز هلكرست : لابد أن تستخدم هذه المعلومات التي تعرفها. هذا واجبك نحوى ، ونحونا جميعا . وهذا هو الذى ستصل إليه بعد أن تتدبر الأمر جيداً .

چل : [خافتة] القار يا أبى . القار !

مسز هلكرست : [فى سخط شديد] اسكتى يا چل !

هلكرست : لقد عودتنى تربيتى ألا أمس امرأة بسوء . لن أفعل هذا يا إمى . لا أستطيع . لن أشعر مرة أخرى بأنى جنتلمان لو أقدمت على هذا العمل .

مسز هلكرست : [فى برود] أوه ! حسنا جدا .

هلكرست : ماذا تقصدين ؟

مسز هلكرست : سأستخدم هذه المعلومات بطريقتى الخاصة .

هلكرست : [وهو يحملق فيها] ستفعلين ذلك ... ضد مشيئتى !

مسز هلكرست : إننى أعتبر هذا واجباً على .

هلكرست : إذا وافقت على أن يحاط هورنبلوور . . .

مسز هلكرست : هذ كل ما أريد .

هلكرست : هذا أقصى ما يمكن أن أوافق عليه يا إيمى . ودعك من الهراء الكاذب الذى يقول إنه

ضرورى من الناحية الأخلاقية . إنما نقدم
عليه إبقاء على حياتنا .

مسز هلكرست : لا أدرى ماذا تقصد بالتعلل ؟

چل : إنه يعنى ما يقوله .. يا أمى .

هلكرست : يجب أن يقف الموضوع عند هورنبلوور .
هل تفهمين هذا تماما ؟

مسز هلكرست : تماما .

چل : هل يقف الموضوع عند ذلك الحد ؟

مسز هلكرست : إذا لم تستطيعى الاحتفاظ بوقاحتك لنفسك .

هلكرست : تعالى معى يا چل .
[يتجه نحو الباب ، إلى الخلف]

چل : آسفة يا أمى . ولكنها فعلا لعبة غادرة أليس
كذلك ؟

مسز هلكرست : أنت تفتخرين بأن كلامك صريح ، وأنا
أفتخر بأن تفكيرى صريح ، وستشكريننى
فى المستقبل؛ لأننى أستطيع أن أرى الحقائق .
أنا أعلم أننا خير من آل هورنبلوور هؤلاء .
سنبقى هنا .. أما هم .. فلا

چل : [تنظر إليها فى إعجاب لا حيلة لها فيه] أمى
أنت مدهشة !

هلكرست : چل !

چل : إنى قادمة يا أبى .

[تستدير وتعدو نحو الباب . يخرجان . مسز هلكرست تتنهد تنهداً طويلا ثم تنصب قامتها وتسترد وقارها واعتزازها بنفسها]

مسز هلكرست : دوكر [يحضر إليها] .

سأبعث إليه الليلة برسالة أصوغها فى عبارات تحمله على المجئ لرؤيتنا صباح الغد . هل تستطيع الحضور إلى المكتب قبيل الساعة الحادية عشرة ومعك هذا السيد ؟

دوكر : [يومئ برأسه] سنبرق لشريكه ، وسآتى به هو الآخر فلابد من اليقين التام فى مثل هذه المسائل .

[تصعد الدرج فى حزم وتنصرف]

دوكر : [وهو يغمز بعينه للشخص الغريب] إن العمدة رجل متحرج جداً — جنتلمان أكثر من اللازم . ولكن الكلمة ليست كلمته . إن الفرس الشهباء معنا قلباً وقالباً . أرسل برقية لهنرى . وسأتوجه أنا إلى المحامين . ستجعل هذا الخرتيت العجوز يبيعنا سنترى مرة أخرى بسعر معقـــول . آل هورنبلوور هؤلاء [واضعاً إصبعه على أنفه] قد وقعوا فى قبضتنا .

يسدل الستار

المنظر الثانى

غرفة نوم كلو . فى الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم نفسه . غرفة لطيفة . ليست فيها صور معلقة على الجدران، ولكن هناك مرآتان . حاجز وأريكة فاخرة ناحية المدفأة إلى يسار المسرح . باب إلى يمين الناظر إلى الوسط فى الخلف يفتح إلى الداخل ، نافذة فرنسية إلى اليمين من الأمام ، مكتب إلى اليمين فى الخلف . الغرفة مضاءة بنور كهربى .

كلو فى روب المساء واقفة عند الطرف الأمامى من الأريكة ، ساكنة غاية السكون ، وقد علت وجهها صفرة شديدة . شفتاها منفرجتان وعيناها الواسعتان تحملقان فيما أمامها كما لو كانتا تريان أشباحاً . يفتح الباب فى غير ما جلبة، ويرى وجه امرأة . تنظر المرأة خلسة إلى كلو ثم تختفى بعد أن تغلق الباب . ترفع كلو يديها لتغطى بهما عينيها ثم تدليهما فى حركة سريعة، وتنظر فيما حولها . تسمع طرقة على الباب . تتجه فى حركة خفيفة سريعة إلى الأريكة ، وترتمى عليها وهى مغمضة العينين .

كلو : [بصوت واهن] ادخل !

[تدخل خادمتها فإذا قوام ملفوف رشيق ، وعمر لا يستبين من منظرها فى ثوب أسود اللون ونفس الوجه الذى كان يطل خلسة] .

نعم يا أنا ؟

أنا : ألا تدخلين للعشاء ياسيدتى ؟

كلو : [وعيناها مغمضتان] كلا .

أنا : هل تتناولين شيئا هنا ياسيدتى ؟

كلو : أريد قطعة من «البسكوت» وكوبا من «الشمپانيا»

[تبتسم الخادمة وهى واقفة بين الباب والأريكة . فتلحظها كلو بنظرة خاطفة]

لماذا تبتسمين ؟

أنا : هل كنت أبتسم يا سيدتى ؟

كلو : تعلمين أنك كنت تبتسمين [فى شراسة] هل تؤجرين على السخرية منى ؟

أنا : [دون حراك] كلا ياسيدتى . أتحبين شيئاً من ماء الكلونيا على جبهتك ؟

كلو : نعم – كلا – ما الفائدة ؟ [تقبض بيدها على جبهتها] إن الصداع يلازمنى ولا يذهب عنى .

أنا : خير علاج له هو البقاء فى الفراش .

كلو : ظللت فيه – ساعات .

أنا : [بابتسامة] نعم ياسيدتى .

كلو : [تستجمع قوتها وتجلس مستوية على الأريكة] أنّا ! لماذا تقومين بهذا العمل ؟

أنا : أى عمل ياسيدتى ؟

كلو : التجسس على .

أنا : أنا . . أبداً ! أنا . .

كلو : تتجسسين ! ولكنك مغفلة أيضاً . ماذا هناك أتجسسى عليه ؟

أنا : لاشئ ياسيدتى . طبعاً إذا لم تكونى راضية عنى فلا بد أن أخطرك بترك العمل . . ولكن إذا كنت أتجسس فعلا فإنى أتوقع

أن أتسلم أنا إخطارا بترك العمل . لقد اعتدت على سيدات لا يطقن هذا لحظة واحدة .

كلو : [مصممة] إذن ستحصلين على راتب شهر وتنصرفين من الغد . انتهينا الآن .

[أنا تهز رأسها وتنصرف]

[تستدير كلو فيما يشبه الأنين وتدفن وجهها فى الوسادة]

كلو : [وقد اعتدلت فى جلستها] لو استطعت أن أرى ذلك الرجل — او أنى استطعت فقط . . . أو لو أنى رأيت دوكر . . .

[تقفز من مجلسها وتتوجه إلى الباب ؛ ولكنها تتردد وتعود إلى قمة الأريكة عند ما يدخل رولف . أثناء هذا المنظر يفتح الباب خلسة مرة أخرى بمقدار بوصة أو اثنتين]

رولف : كيف حال الصداع ؟

كلو : فى غاية السوء . أشكرك . لن أدخل للعشاء .

رولف : هل هناك ما أستطيع أن أعمله من أجلك ؟

كلو : كلا يا فتاى العزيز . [تنظر إليه فجأة] . أنت لا تريد استمرار هذا النزاع مع آل هلكرست ، أليس كذلك يا رولف ؟

رولف : كلا ؟ إنى أكرهه .

كلو : حسن ، أظن أنني قد أستطيع أن أضع حداً له . فهل لك أن تسرع بالذهاب إلى منزل دوكر — ولن يستغرق هذا خمس دقائق . ادعه لمقابلتي .

رولف : أبي وتشارلي لن يسمحا .

كلو : أعرف ولكن إذا جاء هنا عند النافذة . وأنتم منهمكون في العشاء ، فسأعمل على أن يدخل ويخرج دون أن يلحظ أحد .

رولف : [مندهشاً] نعم ولكن ماذا ... أقصد كيف ...

كلو : لا تسألني ، المحاولة تستحق أن تبذل. هذا كل ما هنالك [تنظر إلى ساعة معصمها] سيأتي إلى هذه النافذة في الساعة الثامنة تماماً قل له : أول نافذة كبيرة في الشرفة .

رولف : ألا يمانع تشارلي في هذا ؟

كلو : كلا . كل ما هناك أني لا أستطيع أن أخبره فهو وعمي مغاليان جداً . في الأمر كله .

رولف : إذا كانت هناك فرصة حقيقة ...

كلو : [تذهب إلى النافذة وتفتحها] من هنا يا رولف إذا لم تعد فسوف أعرف أنه آت إلى هنا . اضبط ساعتك على ساعتي . [تنظر إلى ساعته] ساعتك مقدمة دقيقة . انظر .

رولف : اسمعى يا كاو .

كلو : لا تنتظر . هيا .

[تكاد تدفعه خلال نافذة الشرفة ثم تغلقها من ورائه وتسدل الستائر مرة أخرى ، وبعد ذلك تقف برهة وقد استغرقت فى التفكير ثم تذهب إلى الجرس وتدقه . تتوجه إلى المكتب إلى اليمين من الخلف وتتناول « روشتة » صيدلى] .

[تدخل أنا] .

كلو : لا أريد هذه الشمپانيا . خذى هذه إلى الصيدلى واطلبى منه أن يقوم بتحضير هذه الأدوية وأحضريها بعد ذلك بنفسك .

أنا : أجل ياسيدتى ، ولكن لديك بعض هذا البرشام .

كلو : لقد تقادم عليه الوقت . فقد أخذت منه برشامتين فوجدت مفعولها قد ضعف . أسرعى من فضلك فلم أعد أقوى على هذا الصداع .

أنا : [تتناول الروشتة – بابتسامتها المعهودة] أجل يا سيدتى . يلزمنى بعض الوقت .. ألا تريدينى ؟

كلو : كلا بل أريد البرشام [تنصرف أنا]

[كلو تنظر إلى ساعتها ثم تذهب إلى المكتب وهو من طراز قديم وله درج سرى . وتتلفت حولها ثم تغوص يدها فى الدرج السرى فتخرج رزمة من أوراق

البنكنوت وحزمة من الورق الرقيق . تعد الأوراق « ثلاثمائة » ثم تخفيها فى صدرها وتفتح الحزمة الصغيرة فإذا هى تحتوى على لآلئ تخفيها أيضاً فى ثوبها ثم تنظر حولها مذعورة ، وتضع الدرج فى مكانه وتعود إلى مكانها على الأريكة وتنبطح عليها عند ما يفتح الباب ويدخل هور نبلوور . إنها لا تفتح عينيها وهو يقف متأملا إياها لحظة قبل أن يتكلم]

هورنبلوور : [فى شىء من الحنان] كيف حالك يا كلو ؟

كلو : صداع فظيع !

هورنبلوور : هل تستطيعين الإصغاء إلىّ لحظة ؟ لقد وصلتنى رسالة من تلك المرأة .

[تعتدل كلو فى جلستها]

هورنبلوور : [يقرأ] « أريد أن أفضى إليك بشىء هام للغاية يتعلق بزوجة ابنك . وسأكون فى انتظارك غداً صباحا فى الساعة الحادية عشرة ، والمسألة من الأهمية لسعادة أفراد أسرتك جميعاً بحيث إننى لا يمكنى أن أتصور أنك ستمتنع عن الحضور » . والآن ما معنى هذا؟ أهذه مجرد وقاحة؟ أم جنون؟ أم ماذا؟

كلو : لا أعرف .

هورنبلوور : [فى نغمة ليست جافية] إذا كان هناك شئ ما ، يا كلو ، فالأفضل أن تخبرينى به ، سيكون لى هذا عونا .

كلو : ليس هناك شيء . اللهم إلا أن... [توجه إليه نظرة خاطفة] إلا أن والدى كان مفلساً .

هورنبلوور : على رسلك ! كم من الناس كانوا مفلسين ! ولكنك لم تذكرى لنا الشيء الكثير عن عائلتك من قبل .

كلو : لم أكن فخورة جداً بوالدى .

هورنبلوور : حسن ، أنت لست مسئولة عن والدك . فإذا كان هذا كل شيء فقد أرحتنى من متعجرفين حاقدين ! . سأذكر هذا حينما أصفى حسابى معهم .

كلو : عمى . لا تقل شيئاً لشارلى . فلن يجلب له هذا إلاّ الهم والقلق .

هورنبلوور : كلا إطلاقاً . لن أقـــول له شيئاً إذا أصابنى أنا الإفلاس، فلا شك أنه سينزعج [يضحك وينظر إليها فى دهاء] . ليس هنــاك شيء آخر قبل أن أرد على رسالتها . أليس كذلك ؟ [تهز كلو رأسها] هل أنت واثقة؟

كلو : [فى شيء من الجهد والعناء] قد تختلق أشياء من عندها طبعاً .

هورنبلوور : [غارقاً فى شعور الخصومة] آه ! ولكن هناك شيئاً اسمه قوانين السب والقذف، فإذا لعبوا

بذيلهم فإنى سأقاضيهم .

كلو : [فى تهيب] ألا تستطيع أن تضع حداً لهذا النزاع يا أبى ؟ لقد ذكرت أنك أثرته من أجلى . ولكنى لا أريد أن أصادقهم . وهم مغرمون ببيتهم العتيق . وأنا أميل للفتاة . وأنت لست محتاجاً حقيقة لأن تبنى فى تلك المنطقة بالذات . أليس كذلك ؟ ألا تستطيع أن تضع حداً للنزاع ؟ أرجوك أن تفعل ؟

هورنبلوور : أضع حداً ؟ بعد أن اشتريت فعلا ؟ أبداً » أبداً ! لقد تحدانى أولئك المتعجرفون وسأريهم عاقبة التحدى . أنا أكرههم جميعاً وأكره ذلك القزم دوكر أكثر منهم جميعاً .

كلو : إنه مطية من مطاياهم لا أكثر .

هورنبلوور : إنه جزء من ذلك النظام الذى يقف فى طريقى ، أنت امرأة ولا تفهمين مثل هذه الأمور . ولو أخبرتك لما صدقت الكفاح الذى كافحته فى سبيل جمع ثروتى ، وفى سبيل الحصول على مكانتى هذه . إن سراة الريف هؤلاء يعطونك من طرف اللسان

حلاوة ، ولكن استخلاص شئ منهم أشبه باستخراج الزبد من فم الكلب ، وإذا استطاعوا طردى من هنا بالحق أو بالباطل فهل يترددون لحظة واحدة ؟ لا . ليسوا هم الذين يترددون ! . انظرى كم أجبرونى على دفعه . ثم انظرى إلى هذه الرسالة . يالهم من عصبة من المنافقين الحقراء الأنانيين .

كلو : ولكنهم لم يبدأوا النزاع .

هورنبلوور : فى الظاهر لا ولكنهم بدأوه فى الباطن — هذه طريقتهم لقد بدأ هذا النزاع بالتضييق على هنا وهناك وفى كل مكان ، لا لذنب إلا لأنى بدأت فى تكوين نفسى متأخراً قليلاً عنهم . لقد منحتهم فرصة ، ولكنهم لم ينتهزوها . حسناً سأريهم ما يستطيعه رجل مثلى إذا اعتزم أمراً . سأسلخ جلدهم .

[فى غمرة الحماس لم يلحظ وجهها الذى ارتسم عليه عذاب الشك فيما إذا كان يجدى أن تستمر فى استعطافه أو تفعل شيئاً آخر . ثم تنظر إلى ساعتها نظرة خاطفة وترتمى على الأريكة وتغمض عينيها]

سأشعر بالنشوة البالغة حين أرى مداخنى ترتفع فى السماء أمام نوافذهم . كانت

فكرة جميلة — هذا العرض الأخير
الذى عرضته فى المزاد، فلو أنه انقاد لشعوره
إذ ذاك لما توقف أبدا فيما أظن .
[ينظر إليها] نسيت صداع رأسك . حسنا
حسنا ! لعل من الأفضل أن تظلى راقدة فى
هدوء [يدق الجرس]
هل نرسل إليك شيئاً من الغداء ؟

كلو : كلا . سأحاول النوم . أرجو أن تخبرهم
برغبتى فى ألا يزعجنى أحد .

هورنبلوور : لا بأس سأرد فقط على هذه الرسالة .
[يجلس إلى المكتب]

[كلو تقفز محمومة من فوق الأريكة وتنظر إلى
ساعتها وإلى النافذة ثم إلى الساعة مرة أخرى . وبعد
ذلك تعبر الطريق إلى النافذة فى خفة وتفتحها]

هورنبلوور : [منهياً رسالته] اسمعى [يستدير نحو الأريكة]
هالو ! أين أنت ؟

كلو : [عند النافذة] ما أشد الحرارة .

هورنبلوور : هذا ما كتبته .
« سيدتى .. لا يمكنك أن تذكرى شيئاً .
عن زوجة ابنى يمس سعادة أفراد عائلتى ،
إنى أعتبر رسالتك جرأة ووقاحة ولن

أحضر إليك فى الساعة الحادية عشرة من
صباح الغد . المخلص »

كلو : [بحركة من رأسها تدل على تألمها] أوه ! حسن !
[يلمس الجرس مرة ثانية]

هورنبلوور : [وهو يتجه إلى الباب] الزمى الفراش وحاولى
النوم . سأخبرهم ألا يزعجوك . وأرجو
أن تكونى بخير فى الغد . طاب مساؤك يا كلو

كلو : طاب مساؤك . [يخرج]

[بعد أن تتقلب كلو على جنبيها مرة أو مرتين تقلب
المحموم ، تعود إلى النافذة المفتوحة وتنتظر هناك تكاد
تخفيها الستائر . يفتح الباب شيئاً فشيئاً ، وتبرز رأس
أنا وهى تختلس النظر فيما حولها . عند ما تدرك مكان
كلو تتحرك فى خفة وتختفى خلف الستارة إلى
اليسار . وفجأة تدخل كلو بظهرها من النافذة]

كلو : [بصوت منخفض] ادخل [تندفع نحو الباب
وتغلقه]

[كان دوكر قد دخل من النافذة وهو يقف ناظراً
إليها فى ابتسامة ضعيفة]

دوكر : حسنا أيتها الشابة ، ماذا تريدين منى ؟

[فى حضرة هذا الرجل الذى ينتمى لطبقتها يحدث
تغير واضح فى صوت كلو وهيئتها ، نوع من السوقية
الصريحة التى تتناسب مع الرجل الذى تتعامل معه
ولكنها تحافظ على انخفاض صوتها]

كلو : أتعلم أنك قد ارتكبت خطأ ؟

دوكر : [فى ابتسامة كالحة عريضة] كلا . عندى ذاكرة لا تنسى الوجوه .

كلو : أقول لك لقد ارتكبت خطأ .

دوكر : [يستدير متهيئاً للانصراف] إذا كان هذا كل شئ ، فلم يكن ثمة حاجـــة لإزعاجى بالقدوم إلى هنا .

كلو : كلا لا تنصرف . [بابتسامة واهنة] أنت تلعب معى لعبة قذرة . ألست خجلاً ؟ أى ضرر سببته لك ؟ أتسمى هذا لعبة « كريكت » ؟

دوكر : كلا يا فتاتى — بل أسميه عملا .

كلو : [بمرارة] ما شأنى أنا بهذا النزاع ؟ لم أستطع منع هذا التصادم بين الفريقين .

دوكر : هذا من سوء حظك .

كلو : [تضم راحتيها] ما أقساك من رجل إذا كان همك إلحاق الضرر بحياة امرأة لم تسئ إليك مثقال ذرة .

دوكر : هم إذن لا يعرفون شيئاً عنك . لا بأس . اسمعى الآن ، أنا أخدم سيدى . ولكنى لحم ودم أيضاً ، ومن عادتى أن أردعلى العمل

يمثله . إنى أكره عائلة زوجك فهم لم يتورعوا عن شتمى بأقذع الشتائم . فضلا عن النظر إلىّ بنظرات البغض والكراهية وأقولها بصراحة إنى أكرههم .

كلو : إن فيهم من الخير مثل ما فى قومك .

دوكر : [بابتسامة كالحة] لا خير فى أى فرد من أفراد عائلة هورنبلوور طالما هو على قيد الحياة .

كلو : ولكن . . . أنا لا أنتمى إليهم .

دوكر : لن يدهشنى أن تصبحى أما لبعضهم .

كلو : [تمد يدها بشكل يدعو للرثاء] أوه . اتركنى وشأنى . اتركنى فإنى سعيدة هنا . كن شريفاً فى خصومتك . كن شريفاً .

دوكر : [وقد ارتبك لحظة] لن تؤثرى على هكذا فدعك إذن من هذا كله .

كلو : كان حظى سيئا فيما مضى .

[دوكر يهز رأسه وقد اختفت من وجهه الابتسامة وأصبح جامداً كالخشب]

كلو : [لاهثة] آه ! أرجوك ! قد تقع فيما أنا فيه يوما . لا بد أنك كنت مغرما بفتاة فى يوم من الأيام . فكر فيها .

دوكر : [بشكل حاسم] لن يجدى هذا كله يامسز كلو
أنت أداة فى هذه اللعبة وسوف أستخدمك.
كلو : [فى يأس] ما الذى يعود عليك من هذا ؟
[وقد تنمرت فجأة] انتبه جيدا .
لا تستثر عداوتى . فإنى لم أجز نار الجحيم
دون أن أتعلم منها درساً . إن أمثالى من
النسوة فى استطاعتهن الانتقام ، ثق من هذا
دوكر : هذا أحسن ، فانى أفضل المرأة التى تهدد على
المرأة التى تنتحب وتتذلل . هددى ماشاء
لك التهديد ستخبرينهم بأمر مقابلتك لى فى
« البروميناد » Promenade ذات ليلة طبعاً .
ستخبرينهم بهذا . أليس كذلك ؟ أو أن ...
كلو : كف عن هذا الكلام ! أوه ! كف عن
عن هذا الكلام ! [تتناول من صدرها الأوراق
المالية واللآلىء] انظر ! ها هى كل مدخراتى
كل ما لدى. إن هذه اللآلىء تساوى ألف
جنيه تقريباً . [تمد يدها بها] خذها واعفنى
من هذا الموضوع .. ألا تفعل ؟ ألا تفعل ؟
دوكر : [وهو يمر بلسانه على شفتيه بضحكة جافة قصيرة]
لست أنا الذى يفعل هذا ياسيدتى . إننى
مجرد كلب ، إذا شئت ولكنى مخلص

وفى . فلا تحاولى معى هذه الألاعيب .

كلو : [تفقد سيطرتها على أعصابها] أنت وحش ، وحش ، وحش قاس جبان . ثم كيف تجرؤ على رشوة هذه المرأة لتتجسس على ؟ أوه ! نعم هذا ماتفعله !
أنت تعرف أنك تفعل هذا . ولو دفعتنى إلى الجنون لما همك هذا أيها الوحش !

دوكر : كفى عن هذا ! فلن يفيدك بشىء .

كلو ، ماذا تسمى هذا الذى تقوم به ، تطارد امرأة لأنك اشتبكت مصادفة فى نزاع مع رجل ؟

دوكر : من المسئول عن النزاع ؟ لست أنا ياسيدتى يجب أن تعرفى أنه إذا احتدم النزاع فإن الضعاف والعجزة — ولا نقول الأبرياء — هم الذين يصابون لامفر من هذا .

كلو : [تنعم النظر فيه] ليت أمك أو أختك — إن كان لك أخوات — تقاسى ما أقاسيه منذ بدأت تطاردنى ، أتمنى أن تذوق طعم الخوف. أتمنى أن تقع فى الحب وتجد بعد ذلك أن حبها معاق بخيط و.. و.. اوه ! أيها الجبان أيها الجبان المتجبر . أتسمى نفسك رجلا؟

دوكر : [بابتسامته المفتعلة] آه ! ما أجملك هكذا
يا لله ! يا لك من امرأة فاتنة حين تستثارين
[تنطفئ سورة كلو بنفس السرعة التى اشتعلت بها
من قبل . ترتمى على الأريكة وهى ترتعش ، وتنظر
هنا وهناك ثم ترفع عينيها وتنظر إليه لحظة]

كلو : هل هناك شئ تريده لكيلا تدمر حياتى
[تشبك يديها على صدرها وتقول بصوت خافت]
أتريد أنا ؟

دوكر : [وهو يمسح حاجبه] يا لله ! هذا عرض .
[يتراجع فى اتجاه النافذة] إنك .. إنك لمست
فى قلبى وتراً . انتبهى ! لامفر أمامى من
استخدامك ، وسوف أستخدمك بالفعل ولكنى
سأبذل أقصى مافى وسعى لإخلاء سبيلك
على أحسن وجه يمكننى . كلا . لاأريد
أى شيء يمكن أن تعطينى إياه ، أقصد ...
[يمسح جبينه مرة أخرى] إننى أحب أن أحصل
عليه ، ولكنى لن آخذه [كلو تدفن وجهها
فى يديها] لاتبتئسى إذن وكفى عن البكاء .
طابت ليلتك !
[يخرج من النافذة]

كلو : [تقفز] إننى كالفأر فى المصيدة . كالفأر ...
[تقف وهى تتسمع . تهرول إلى الباب وتفتحه ثم
تعود إلى الأريكة وترتمى عليها وقد أغمضت عينيها .

يدلف تشارلز فى هدوء تام ويقف إلى جانبها ليتثبت مما إذا كانت نائمة . تفتح عينيها]

تشارلز : حسنا يا كلو . هل نعمت بالنوم يا فتاتى

كلو : ن ... نعم .

تشارلز : [يجلس على مسند الأريكة ويلاطفها] هل تشعرين بتحسن يا عزيزتى ؟

كلو : نعم يا تشارلى .

تشارلز : عظيم . هل ترغبين فى شىء من الحساء ؟

كلو : [وهى ترتعد] كلا .

تشالز : بالمناسبة — ما السبب فى هذا الصداع الذى يلازمك ! لقد ظل يعاودك من حين إلى آخر طوال الشهر الماضى .

كلو : لا أعرف . إلا أن يكون السبب أنى حامل يا تشارلى .

تشارلز : أخيراً يا إلهى ! هل أنت واثقة ؟

كلو : [تومئ برأسها] أمسرور أنت ؟

تشارلز : حسناً — أظن أنى مسرور . وسيطرب أبى للخبر .

كلو : لا تخبره — لا تخبره — الآن .

تشارلز : حسن ! [ينحنى عليها ويجذبها نحوه] يا فتاتى المسكينة ، كم أنا آسف لما ألم بك . امنحينا قبلة .

[ترفع كلو وجهها وتقبله بحرارة]
إنك تسعلين . فهل أنت محمومة ؟

كلو : [ضاحكة] أليس عجيبا ألاأكون محمومة ؟
تشارلى ، هل أنت سعيد معى ؟

تشارلز : ماذا تظنين ؟

كلو : [تستند عليه] إنك لن تصدق ما يقال ضدى
بسهولة . أليس كذلك ؟

تشارلز : ماذا ؟ أتفكرين فى آل هلكرست ؟ ماذا
تعنى تلك المرأة بموقفها منك . . . عند ما
رأيتها هناك اليوم ، رددت نفسى بصعوبة
عن أن أذكر لها رأيى فيها بصراحة . . .

كلو : [تتأمله خلسة] لن يفيدنى هذا النزاع وحالتى
كما ترى . إنه يزعجنى يا تشارلى .

تشارلز : نعم لن ننسى لهم هذا . سنحاسبهم عليه .

كلو : إنها خصومة لعينة فى مكان صغير كهذا !
فهل هناك ضرورة لاستمراركم فى تشويه
بيتهم !

تشارلز : إن المرأة تقاطعك وتهينك . وهذا يكفينى .

كلو : [فى إحجام] دعها تفعل . أنا لا أهتم .
لا يمكننى أن أطيق الشعور بوجود الأعداء
من حولى يا تشارلى، فهذا يثير أعصابى أنا .

تشارلز : يا فتاتى العزيزة . ما الحكاية ؟

[يتفرس فيها]

كلو : أظن المسألة هى — كما ترى . [فجأة] ولكن أرجوك يا تشارلى أن تنهى هذا النزاع من أجلى . افعل بربك !

تشارلز : [يربت ذراعها] مهلا ، مهلا ! أنت تجعلين من الحبة قبة ياكلو أين الإنصاف ؟ انظرى إلى الأشياء فى أوضاعها الصحيحة . لقد دفع أبى تسعة آلاف وخمسمائة جنية ، ليقهر هؤلاء الناس وأنت تريدين منه أن يقذف بهذا المبلغ للإبقاء على امرأة أهانتك ، ليس هذا من العقل فى شىء ولا من المصلحة ، ليكن عندك شىء من عزة النفس

كلو : [مبهورة] ليس عندى عزة نفس يا تشارلى أريد أن أترك فى هدوء — هذا كل ماهنالك

تشارلز : إذا كان هذا النزاع يرهق أعصابك ففى وسعى أن آخذك إلى شاطئ البحر ولكن يخلق بك ان تشعرى بالمتعة فى محاربة قوم كهؤلاء . . .

كلو : [بمرارة متعمدة] أجل ! إن ما أريده أنا — لا قيمة له بالطبع

تشارلز : هالو ! هالو ! إن أعصابك ثائرة فعلا !

كلو : إذا أردتنى أن أكون زوجة طيبة فاجعل والدك ينهى هذا النزاع

تشارلز : [ينهض] انتبهى إلى الآن يا كلو ، أى شىء وراء هذا الكلام ؟

كلو : [بلهجة واهنة] وراءه ؟

تشارلز : إنك تتصرفين كما لو كنت مذعورة حقا . هؤلاء الناس أصبحوا الآن فى قبضتنا . وسنطردهم من ديپواتر فى ظرف ستة أشهر ومعنى هذا أننا سنقضى على بيتهم هذا العتيق البغيض قضاء مبرما . سنقيم المداخن على الحدود نفسها لا على بعد ثلاثمائة ياردة وسيتطاير دخان مصنعنا فوقهم نصف الوقت ، ولن تمكث هذه المرأة السليطة الملعونة هنا طويلا بعد الآن . وبعد ذلك يمكننا حقا أن نسير قدما فى طريقنا ونحتل مكاننا الملائم وما دامت تلك المرأة موجودة هنا ، فلن يتسنى لنا ذلك ، وليس أمامنا الآن إلا أن نمضى فى طريقنا بأسرع ما نستطيع

كلو : [بإيماءة] فهمت .

تشارلز : [ينظر إليها مرة أخرى] إذا مضيت فى هذا

فسيتطرق إلى ذهنى الشك بأن هناك . . .

كلو : [فى رقة] تشارلى ! [يأتى إليها]
أتحبنى !

تشارلز : [يطوقها بذراعيه] لا بأس يافتاتى العزيزة أنا أعرف غرابة أطوار النساء، الموقف الغريب الذى يقفه النساء فى مثل هذه الظروف . أنت تريدينى أن أقرئك تحية المساء هذا كل ما هنالك

كلو : لم تنته من عشائك بعد . أليس كذلك؟ عد إلى عشائك أما أنا فسوف آوى إلى فراشى فى الحال . لا تكفّ عن حبى ياتشارلى

تشارلز : أكف ؟ لن أكف كثيراً

[بينما يحتويها بذراعيه مرة أخرى تتسلل أنا من خلف الستارة إلى الباب فتفتحه دون صوت وتنفذ من خلاله ولكنه يحدث صوتاً عند إغلاقه] :

كلو : [تقفز فى عنف] أوه ... ه

تشارلز : ما هى الحكاية ؟ ما الحكاية ؟ أعصابك متوترة ياعزيزتى .

كلو : [تنظر حولها وتضحك ضحكة قصيرة] لا أعرف اذهب ياتشارلى ، عند ما يذهب هذا الصداع سأشعر بالراحة .

تشارلز : [يمر بيده على جبهتها وينظر إليها فى ارتياب] اذهبي إلى الفراش ولن أتأخر عليك .

[يستدير وينصرف ويرسل إليها بقبلة فى الهواء من خلال المدخل . عند ما ينصرف تنهض كلو وتقف فى الوضع الذى كانت عليه فى بداية هذا الفصل غارقة فى التفكير . يفتح الباب ووجه الخادمة يختلس النظر إليها]

يسدل الستار

خادمة زوجة تشارلز

الفصل الثالث

المنظر الأول

الصباح

غرفة مكتب هلكرست فى صباح اليوم التالى

[جل تنظر ، وهي قادمة من اليسار ، إلى النافذة الفرنسية المفتوحة]

چل : [مخاطبة رولف ، المتوارى عن الأنظار] تعال هنا . لا أحد هنا .

[تدخل ويلحق بها رولف قادماً من الحديقة]

رولف : چل ، كنت أود أن أقول . . . هل هناك ما يدعونا لهذا ؟ [چل تومئ] عندما رأيتك البارحة بدأت الأمور أسوأ ماتكون .

چل : لسنا نحن الذين بدأنا .

رولف : كلا ، ولكنك لاتفهمين . إذا كنت قد كونت نفسك كما فعل أبى

چل : أرجو أن يكون شعورى فى هذه الحالة شعور الآسف .

رولف : [لائماً] ليس هذا فى طبعك . فى الحقيقة أنه يشعر بالرغم منه بأنه يؤدى خدمة عامة

چل : ونحن نشعر بالرغم منا أنه خنزير . آسفة !

رولف : إذا كان صحيحاً أن البقاء للأصلح ...

چل : قد يكون هو الأصلح ولكنه لن يبقى .

رولڤ : [مشتت الذهن] ومع ذلك يبدو أن هذا هو الذى سيحدث .

چل : أهذا كل ماحضرت لتقوله ؟

رولف : كلا لنفرض أننا وحدنا قوانا ، أفلا نستطيع وقف هذا النزاع ؟

چل : لا رغبة لى فى هذا التوحيد .

رولف : لقد تصافحنا من قبل .

چل : لا قبل لأحد بالقتال دون أن يشعر بالمرارة .

رولف : أنا لا أشعر بالمرارة .

چل : انتظر وستشعر بها بعد قليل .

رولف : لماذا ؟ [فى اهتمام] بخصوص كلو؟ أعتقد أن سلوك أملك نحوها ...

چل : ماذا ؟

رولف : كان فيه غطرسة [چل تضحك]

ربما كانت تنتمى لطبقة غير طبقتكم .
وهذا هو السبب فى غطرسة أمك

چل : أعتقد من الأوفق أن تكف عن هذا الكلام .

رولف : ما ذكره أبى كان صحيحاً . فقد كانت وقاحـــة والدتك نحوها فى ذلك اليوم الذى حضرت فيه إلى هنا هى التى جعلته هو وتشارلى يشعران بمزيد من المرارة
[چل تصفر لحن الهانيدا Habanera من أوبرا كارمن]
[محملقاً فيها فى شىء من الغضب] ألا يســـتحق الموضوع شيئاً غير الصفير ؟

چل : كلا .

رولف : أظنك ترغبين فى أن أرحل ؟

چل : نعم .

رولف : وهو كذلك . ألن تعود الصداقة بيننا مرة أخرى ؟

چل : [تنظر إليه فى ثبات] لا أتوقع هذا .

رولف : هذا فظيع .. جداً .

چل : ما أكثر الفظائع فى هذه الدنيا .

رولف : مهمتنا أن نقلل من عدد الفظائع يا چل .

چل : [فى شراسة] لا تعظنى .

رولف : [يشعر بأنه جرح] هذا آخر ما أفكر فيه . كل ما أريده أن أكون صديقاً .

چل : خير لك أن تكون واقعيا أولا .

رولف : من وجهة النظر الكبرى . . .

چل : ليست هناك وجهة نظر كبرى ، نحن جميعاً نسعى من أجل أنفسنا . ولم لا ؟

رولف : لقد أصبحت والله . . .

چل : كلبية ؟ إنه شعار أبيك « كل امرئ يسعى لمصلحته » هذا هو الذى سيفوز فى النهاية ، وداعاً !

رولف : چل ! چل !

چل : [تضع يديها خلف ظهرها وتتمتم بهذه الأبيات من أغنية مشهورة]

إذا نسى الأصدقاء القدامى .

وتفككت الأواصر العريقة . . .

رولف : لا تقولى هذا !

[ينصرف من خلال النافذة الفرنسية متجهاً نحو اليسار بحركة تدل على الألم]

[چل ، وقد توقفت عن ترديد الأغنية ، تقف وقد ضمت يديها وشفتاها ترتعشان]

[يدخل فلوز من اليسار]

فلوز : مستر دوكر ، والآنسة ، وسيدان آخران .

چل : أدخل الرجال الثلاثة وسأخرج أنا .
[تمر به وتنصرف متجهة إلى اليسار] .
[وبعدها مباشرة يدخل دوكر والشخصان الغريبان]

فلوز : سأخبر المسز هلكرست ياسيدى . فالعمدة يتفقد مزارعه .
[ينصرف من ناحية اليسار]
[يتكتل الرجال الثلاثة عند المكتب الكبير ، وعيونهم على البابين والنافذة الفرنسية المفتوحة]

دوكر : لعلك تعلم أن هذا الكلام يعرض للمحاكمة ، فإذا كانت هناك ثغرة من أى نوع فالأفضل أن تذكرها لنا بصراحة . [للشخص الغريب الآخر] هل كنت تعرفها شخصياً ؟

الغريب الثانى : ماذا تظن ؟ أنا لا ألحق بهذا العمل فتاة إلا إذا كنت أعرفها جيداً . فضلاعن أنها زكيت لنا تزكية قوية ، وقامت بعملها على خير وجه . لقد خدمتنا مرتين . أليس كذلك يا چورچ ؟

الغريب الأول : نعم لقد دفعنا لها أجرها عن الزيارتين .

الغريب الثانى : إننى سأعرفها حالما أنظر إليها . إنها فتاة تروع الناظر . هناك شئ ما فى وجهها . وأعتقد أنه مرت بها أيام سود .

الغريب الأول : نحن لا نحب التشنيع .

دوكر : يحتمل هذا ، مجرد التهديد يكفى ولكن

المغامرة تستحق ... والرجل لايستسلم بسرعة فلابد لنا من موالاة الضغط عليه حتى يسلم، فإذا استطعتما كلا كما أن تقسما أنها هي فسينتهى الموضوع .

الغريب الثانى : وفيما يختص بـ ... أقصد أننا نضيع وقتنا كما تعلم فى الحضور إلى هنا .

دوكر : [يومئ برأسه نحو الغريب الأول] چـورچ يعرفنى . سنتفاهم . وأطمئنك إلى أنك ستحصل على مايعوضك عن تعبك

الغريب الثانى : لا أريد أن ألحق بالفتاة ضرراً إذا كانت متزوجة .

دوكر : كلا ، كلا . ليس هناك من يريد إلحاق الضرر بها . وكل ما نريده أن نضغط على ذلك الرجل حتى يصرخ .

[يتفرقون قليلا عند ما تدخل مسز هلكرست من اليمين]

دوكر : صباح الخير ياسيدتى . هذا شريك صاحبنا هنا . هل سيحضر هورنبلوور

مسز هلكرست : فى الحادية عشرة . لقد اقتضانى الأمر رسالة ثانية إليه يادوكر .

دوكر : هل العمدة موجود ؟

مسز هورنبلوور : لم أخبره بشىء .

دوكر : [يومئ برأسه] يستطيع صديقاى الدخول هنا [يشير جهةاليمين] وتستطيع أن تستخدمهما عندما نريد .

مسز هلكرست : [للشخصين الغريبين] هلا استرحتما هنا ؟
[تمسك بالباب بعد أن تفتحه فيدخلون إلى الغرفة التى فى اليمين]

دوكر : [يطلعها على الوثيقة] لقد أعددت هذهالوثيقة الشاملة . إنه عمل محكم . وفيها يتنازل عن سنترى ولونجمدو للعمدة فى مقابل أربعة آلاف وخمسمائة جنيه . والآن ياسيدتى لنفرض أن هورنباوور سيمهرها بإمضائه فمعنى ذلك أنه يكون قد منى بهزيمة نكراء ، وضاع عليه ستة آلاف جنيه سيكون لكم جار فى منتهى القذارة لوبقى هنا .

مسز هلكرست : ولكن مازال فى وسعنا أن نهدده بإفشاء هذا السر فى أية لحظة .

دوكر : أجل ! ولكن قد تحدث هنا أشياء لاتمكننا من تهديده بشكل يجعله يحس بالخطر . لا يمكن أن نثق بإنسان كهذا ، إنه لن يغفر لى هذه الفعلة . أنا واثق .

مسز هلكرست : [تنعم النظر فيه] ولكن إذا وقع فلن نستطيع بحكم الشرف . . .

دوكر : صحيح يا سيدتى لن تستطيعى ؛ وأنا واثق من أننى أنا أيضاً لا أنوى إيذاء هذه الفتاة بشيء . ولكنى ذكرت ما ذكرته لأننا لا نستطيع طبعاً أن نضمن ألا يتسرب هذا الخبر .

مسز هلكرست : لا نستطيع طبعاً أن نضمن تماماً فيما أظن .

[يتبادلان بينهما نظرات تنم عما يساورهما] .

ها هى سيارته ، يبدو أنها تحدث صوتاً أعلى من صوت أى سيارة أخرى .

دوكر : سيرفس ويزمجر — ولكن دعيه هو يسألك عما تريدينه لا تذكرى شيئاً عن هذا [يعيد الوثيقة إلى جيبه] . لن تفيده سنترى فى شئ إذا لم يقم عليها مصنعاً . وأعتقد أنه سيسر بأى مبلغ يستطيع أن يوفره .

[تميل مسز هلكرست برأسها . يدخل فلوز من جهة اليسار]

فلوز : [بلهجة الاعتذار] مستر هورنبلوور ياسيدتى . جاء بناء على موعد سابق . هكذا يقول .

مسز هلكرست : هذا صحيح يا فلوز .

[يدخل هورنبلوور وينصرف فلوز]

هورنبلوور : [دون أن يحيى] جئت لأسألك سؤالا مباشراً لا لف فيه ولا دوران عما تقصدينه من

وراء هذه الخطابات التى تكتبينها لى [يتناول من جيبه خطابين] وسنناقش الموضوع وحدنا من فضلك .

مسز هلكرست : إن مستر دوكر يعرف كل ما أعرفه وأكثر.

هورنبلوور : حقاً ؟ حسناً جداً . إن رسالتك الثانية تقول إن زوجة ابنى قد كذبت على . وعليه فقد أحضرتها وما عليك إلا أن تدلى بما لديك فى مواجهتها وذلك إن لم تكن هذه حيلة لرؤيتى مرة أخرى .

[يتقدم خطوة فى اتجاه النافذة]

مسز هلكرست : اسمع يا مستر هورنبلوور . من الأوفق لك أن تقرر هذا بعد سماع أقوالى — سنكون مستعدين تماما لإعادة الشاب نفسه فى حضورها ؛ ولكننا حريصون على ألا يحدث من الضرر إلا أقله .

هورنبلوور : [متوقفاً] أوه ! أنتم حريصون على هذا ! إذن فما هى الأكاذيب التى سمعتموها ؟ أو ما هى الأكاذيب التى اختلقتموها ؟ أنت ومستر دوكر تعرفون أيضاً أن هناك قانوناً يعاقب على القذف والتشهير . ولست بالرجل الذى يتورع عن تقديمكم للمحاكمة.

مسز هلكرست : [فى هدوء] وهل عندك دراية بقانون الطلاق

يامستر هور نبلوور ؟

هور نبلوور : [وقد أخذ على غرة] كلا . إن . . .

مسز هلكرست : لا بأس . لعلك تعرف أن سوء السلوك شرط فى الطلاق ، وأعتقد أنك سمعت بأن القضايا ترتب لإثبات سوء السلوك قبل أن تعرض على المحاكم .

هورنبلوور : أعرف أن هذا كله شئ فظيع جدا . ولكن ماذا يعنينا منه ؟

مسز هلكرست : عندما ترتب القضايا يا مستر هور نبلوور ، فإن الرجل الذى يريد الطلاق يعمد غالباً إلى التردد على أحد الفنادق ، ومعه امرأة غريبة ، أنا آسفة أشد الأسف حين أقول لك إن زوجة ابنك قبـــل زواجها ، تعودت أن تستخدم للقيام بمهمة هذه المرأة

هورنبلوور : يا لك من مخلوقة فظيعة !

دوكر : [بسرعة] لدينا الدليل القاطع .

هورنبلوور : لا أصدق حرفا مما تقولين . أنتم تكذبون لتنجوا بجلودكم . كيف تجرؤون على التحدث معى فى مثـــل هذه الفظائع ؟ سأقاضيك على هذه الجريمة يا دوكر .

دوكر : لقد رأيت معى رجلا أمس . أليس كذلك؟

حسنا . إنها كانت تعمل عنده .

هورنبلوور : هذه تلفيقة ! مؤامرة !

مسز هلكرست : اذهب وأحضر زوجة ابنك .

هورنبلوور : [بأول بوادر الإحساس بالفخ الذى وقع فيه] هذه سبة فظيعة .. تشهير كاذب !

مسز هلكرست : إذا كان الأمر كذلك فما أسهل تفنيد الاتهام اذهب وأحضرها .

هورنبلوور : [وقد رأى أنهما لم يتحركا]سأذهب . لا أصدق كلمة مما تقولان .

مسز هلكرست : أرجو أن تكون صادقاً .

[يذهب هورنبلوور من خلال النافذة الفرنسية . يتسلل دوكر إلى الباب الأيمن ويفتحه ويتحدث مع من بالداخل . مسز هلكرست تقف وهى ترطب شفتيها بلسانها ثم تمر بمنديلها عليهما . هورنبلوور يعود ووراءه كلو وقد شدت أعصابها فبان عليها الجمود والتحدى .]

هورنبلوور : والآن فلنمزق هذه القصة الوقحة تمزيقاً .

كلو : أية قصة ؟

هورنبلوور : إنك ياعزيزتى كنت امرأة — هذا فظيع ولا أعرف كيف أنهى إليك هذه الحكاية .

كلو : استمر !

هورنبلوور : كنت امرأة تصطحب الرجال لتمكنهم
من الحصول على الطلاق .

كلو : من قال هذا ؟

هورنبلوور : هذه السيدة [متهكما] هناك وكلبها الذى
يقف هنا .

كلو [تواجه مسز هلكرست] هذا كلام كريم
منك . أليس كذلك ؟

مسز هلكرست : أهو صحيح ؟

كلو : كلا .

هورنبلوور : [فى سخط شديد] هذا يكفنى ، عليكما أن
تركعا على الأقدام أمامها !

دوكر [وهو يفتح الباب الذى إلى اليمين] ادخل
[يدخل الغريب الأول . كلو تحاول بمجهود واضح
أن تستدير لتواجهه]

الشخص الغريب الأول : كيف حالك يا مسز ڤين ؟

كلو أنا لا أعرفك .

الغريب الأول : ذاكرتك رديئة ياسيدتى . لقد عرفتنى
البارحة تمام المعرفة . إن يوماً واحداً
ليس بالزمن الطويل ، ولا ثلاث سنين .

كلو : من أنت ؟

الغريب الأول : تكلمى يا سيدتى تكلمى قضية كستر ؟

كلو : قلت إنى لا أعرفك . [لمسز هلكرست] . كيف تنحطين إلى هذا الدرك ؟

الغريب الأول : دعينى أذكرك يا سيدتى . [يتناول كراسة] منذ ثلاث سنوات بالضبط . «٣ أكتوبر مصاريف ونفقات مسز ڤين والسيد س... فندق بُولُنْيُو عشرون جنيها . ١٠ أكتوبر شرحه عشرون جنيهـــا » . [مخاطباً مستر هورنبلوور] هل تريد أن تلقى نظرة على هذه الكراسة يا سيدى ؟ سترى أن كل ما أثبت فيها صحيح .

[يتحرك هورنبلوور ليفعل، ولكنه يضبط نفسه وينظر إلى كلو]

كلو : [بشكل هستيرى] هذه كلها أكاذيب — أكاذيب !

الغريب الأول : تكلمى يا سيدتى فإننا لا نرغب فى إلحاق الأذى بك .

كلو : خذنى بعيداً لن أعامل بهذه الصورة .

مسز هلكرست : [بصوت خفيض] اعترفى .

كلو : أكاذيب !

هورنبلوور : هل حملت اسم ڤين قط ؟

كلو : كلا . أبداً .

[تتحرك فى اتجاه النافذة؛ ولكن دوكر يعترض طريقها فتتوقف] .

الغريب الأول : [يفتح الباب الذى إلى اليمين] هنرى .

[يدخل الغريب الثانى سريعاً . وعند رؤيته ترفع كلو يديها وتشهق وتنهار فى يسار المسرح . وتقف وهى تغطى وجهها بيديها . إنه اعتراف كامل لدرجة أن هورنبلوور يقف مشدوهاً ويتناول منديلا ملوناً ليمسح به جبينه] .

دوكر : هل اقتنعت ؟

هورنبلوور : خذ هذين الرجلين بعيدا .

دوكر : إذا لم تكن مقتنعاً ففى وسعنا الحصول على شهود أخر . عندنا الكثير .

هورنبلوور : [ناظراً إلى كلو] هذا يكفى . أخرجهما . واتركنى معها منفرداً .

[يخرجهما دوكر ناحية اليمين]

[مسز هلكرست تخرج من النافذة مارة فى طريقها بهورنبلوور . يتحرك هورنبلوور خطوة أو اثنتين فى اتجاه كلو]

هورنبلوور : يا إلهى !

كلو : [منفجرة] لاتخبر تشارلى ! لاتخبر تشارلى !

هورنبلوور تشارلى ! هذه كانت طريقتك فى الحياة إذن !

[يصدر عن كلو صوت أنين]

وهذا إذن ما تخلصت منه بزواجك من ولدى ! يا للعار . أيتها الفاسدة !

كلو : لا تخبر تشارلى !

هورنبلوور : وهذا كل ما تستطيعين قوله دفاعاً عن هذا الخراب الذى سببته لعائلتى ومصنعى ومستقبلى كيف تجاسرت على فعل هذا !

كلو : لو كنت فى مكانى . . .

هورنبلوور : وآل هلكرست هؤلاء والصراع المرير بينى وبينهم .

كلو : [لاهثة] عمى !

هورنبلوور : لا تنادينى بهذا أبداً أيتها المرأة !

كلو : [يائسة] إننى حامل .

هورنبلوور : يالله . أنت حامل !

كلو : فى حفيدك . من أجله افعل مايريده منك هؤلاء الناس . ولا تخبر أحداً ... لا تخبر تشارلى !

هورنبلوور : [يمسح جبهته مرة أخرى] احتفظ به سراً بيننا . لا أعلم أننى أستطيع الإبقاء عليه . هذا فظيع . مسكين ياتشارلى !

كلو : [وقد أصبحت شرسة فجأة] يجب أن تحتفظ

به سراً . ستفعل ! لن أسمح لأحد أن يخبره . لاتدفعنى لحركة يائسة ! فإن فى وسعى أن ... إننى لم أعش حياتى تلك دون أن أتعلم منها دروساً .

هورنبلوور : [محملقاً فيها وقد تبدت فى ضوء جديد] نعم . إنك تلوحين لى الآن امرأة متوحشـة غريبة . ولقد كنت فى نظرنا شيئا كبيراً !

كلو : إننى أحب تشارلى . وأنا مخلصة له . لا أستطيع أن أعيش بدونه . أعرف أنك لن تغفرلى ، ولكن تشارلى . . .

[هورنبلوور يأتى بحركة من يديه الكبيرتين تدل على حيرته]

هورنبلوور : إننى فى أشد الحيرة ، اذهبى إلى السيارة وانتظرينى

[كلو تذهب مارة به وتنصرف من جهة اليسار]

[متمتماً لنفسه] وهكذا صرعونى أرضا ! ووضع أعدائى كعوب أقدامهم على رأسى آه ! ولكن سنرى !

[يذهب إلى النافذة ويشير فى اتجاه اليمين]

[مسز هلكرست تدخل]

ماذا تريدين فى مقابل هذا السر ؟

مسز هلكرست : لا شئ .

هورنبلوور : حقاً ! هذا مدهش — كل هذا التعب الذى تجشمته فى مقابل لا شئ .

مسز هلكرست : إذا آذيتنا سنؤذيك ، إن أى إستغلال لستتري . . .

هورنبلوور : التى أكرهتمونى على دفع تسعة آلاف وخمسمائة جنيه ثمناً لها .

مسز هلكرست : سنشتريها منك .

هورنبلوور : بكم ؟

مسز هلكرست : بالثمن الذى كانت ستبيع به مس مولنز أول الأمر . وسنشترى لو تجمدو بالثمن الذى دفعته لنا — أربعة آلاف وخمسمائة .

هورنبلوور : يا له من ثمن عظيم . سأخرج من هذه الصفقة بخسارة ستة آلاف جنيه من جيبى . أبداً . أبداً ! سأحتفظ بهذه الأرض لأذلكم بها . لن تجرؤوا على إفشاء هذا السر ما دمت أحتفظ بها .

مسز هورنبلوور : كلا يا مستر هورنبلوور . يجب أن تبيع بعد تدبر هذا الأمر . لقد رجعت فيما وعدت به بخصوص آل جاكمان . ولا يمكننا أن نثق بك . إننا نفضل أن يشوه بيتنا هذا فوراً ، من أن ندعاك فى مركز

يمكنك من تشويهه عند ما يحلو لك . ستبيعنا سنترى ولونجمدو الآن ، وإلا فأنت تعرف ماذا سيحدث .

هورنبلوور : [يتلوى] لن أفعل . هذا ابتزاز بالتهديد .

مسز هلكرست : حسن جداً . امض إذن في طريقك ولنمض نحن في طريقنا . ليس هناك شاهد على الحديث الذى جرى بيننا الآن .

هورنبلوور : [في حقد مسموم] إنك والله امرأة داهية . ستحلفين بالله العظيم أنك وأفراد أسرتك ووكيلكم هذا لن تنبسوا لمخلوق بكلمة عن هذا الأمر الفظيع ؟

مسز هلكرست : نعم إذا بعت .

هورنبلوور : أين دوكر ؟

مسز هلكرست : [ذاهباً إلى الباب ناحية اليمين] مستر دوكر !
[يدخل دوكر]

هورنبلوور : أعتقد أنك دبرت جريمتك وجهزتها
[يبتسم دوكر ابتسامة مغتصبة وهو يبرز الوثيقة]
هذه أشبه بمؤامرة أمعك إنجيل ؟

مسز هلكرست : تكفى كلمتى يا مستر هورنبلوور

هورنبلوور : عفواً — ولكن ليس أمامى إلا هذه الوسيلة لربطك

مسز هلكرست : لا بأس إذن ها هو كتاب مقدس

[تتناول كتاباً مقدساً صغير الحجم من رف الكتب]

دوكر : [تفرد الوثيقة على المكتب] هذه وثيقة موجزة تتنازل فيها عن سنترى ولونجمدو تنص على أن مِس مولنز باعتك سنترى، وأن مستر جون هلكرست باعك لونجمدو وحيث إنك وافقت على أن تبيع العقارين لمستر جون هلكرست المذكور فى مقابل مبلغ وقدره أربعة آلاف وخمسمائة جنيه . الذى تقر باستلامه هنا ؛ فإنك تتنازل عن العقارين الخ . الخ ، وقع هنا ، وأنا أشهد

هورنبلوور : [لمسز هلكرست] امسكى هذا الكتاب المقدس فى يدك واحلفى أولا ، أحلف بالله العظيم ألا أبوح لمخلوق بكلمة عما أعرفه عن كلو هورنبلوور

مسز هاكرست : كلا يا مستر هونبلوور ستوقع أولا من فضلك، لسنا نحن الذين اعتدنا الرجوع فيما نقطعه على أنفسنا من عهود

[هور نبلوور يتناول قلما ، بعد أن يحدجهما بنظرة يشع منها السخط ، ثم يلقى على الوثيقة نظرة سريعة ويوقع . دوكر يشهد]

وسنضيف إلى كلمات القسم يامستر هورنبلوور

« ما دام آل هورنبلوور لا يلحقون بنا أى أذى »

هورنبلوور : [صارخاً] أمسكا بالكتاب فى أيديكما واحلفا معاً

مسز هلكرست : [ممسكة بالكتاب] أحلف أنى لن أبوح لمخلوق بكلمة عما أعرفه عن كلو هورنبلوور مادام آل هورنبلوور لايلحقون بنا أى أذى .

دوكر : وأنا أحلف على هذا أيضاً .

مسز هلكرست : وأنا أضمن زوجى .

هورنبلوور : أين هذان الشخصان ؟

دوكر : ذهبا ، هذا الموضوع لا يعنيهما

هورنبلوور : ولا يعنى أيا منكم ما حدث لامرأة فى الماضى أنتم تعلمون هذا . طاب يومكما !

[يوجه إليهما نظرة قاتلة . وينصرف من ناحية اليسار . يتبعه دوكر] .

مسز هلكرست : [واضعة يدها على عقد البيع] نحن الآن فى مأمن منه !

[يدخل هلكرست من النافذة الفرنسية تتبعه چل]

[تمسك العقد بيدها المرفوعة إلى أعلى] انظر ، لقد ذهب لتوه ، لقد قلت لكما إن استخدام التهديد أمر لا بد منه ، لقد استسلم فى

النهاية ووقع هذا العقد . وقد أقسمنا على ألا نبوح بشيء ، لقد هزمناه .

[هلكرست يفحص العقد]

چل : [وقد تولاها الخوف] لقد رأينا كلو فى السيارة . كيف تلقت الصدمة يا أمى ؟

مسز هلكرست : أنكرت ثم انهارت عندما رأت الشاهدين كم أنا مسرورة ، لأنك لم تكن معنا ياجاك

چل : [فجأة] سأذهب لأراها

مسز هلكرست : لن تذهبى يا چــل ، إنك لا تعلمين ما فعلته .

چل : سأذهب ، لا بد أنها فى حالة سيئة جدا .

هلكرست : لا يمكنك ياعزيزتى أن تفعلى شيئا من أجلها

چل : أظن أنه يمكننى يا أبى .

مسز هاكرست : أنت لا تفهمين الطبيعة البشرية فنحن وهؤلاء القوم أعداء العمر ، وستكونين غبية لو ظننت غير هذا .

چل : سأذهب رغم هذا .

مسز هلكرست : امنعها يا چاك .

هلكرست : [يرفع حاجباً إلى أعلى] كونى معقولة ياچل .

چل : لو أننى تعرضت للطمة كهذه يا أبى ، لرحبت بأن يعطف علىّ بعضهم .

مسز هلكرست : ولكنك لا يمكن أن تتعرضى أبدا للطمة كهذه .

چل : لا يمكنك أن تعرفى ما تستطيعين حتى تجربيه يا أمى .

هلكرست : دعيها تذهب يا أمى . إننى أرثى لهذه الشابة .

مسز هلكرست : أعتقد أنك ترثى حتى لمن يسطو على جيبك .

هلكرست : قطعاً ! وخاصة إنه لن يجد فيه إلا القليل بعد أن أدفع ثمن سنترى .

مسز هلكرست : [بمرارة] ياله من عرفان بالجميل على إنقاذى لبيتنا .

چل : [وقد جردت من سلاحها] أوه ! أماه . بل نحن عارفان بجميلك أرها عرفانك يا أبى .

هلكرست : حسنا ياعزيزتى . لقد شعرت بارتياح تام . إننى لا أحسن إظهار شعورى كما تعلمين ، ماذا تريدين منى أن أعمله ؟ أقف على رجل واحدة وأنعق ؟

چل : نعم يا أبى . نعم . امسكيه يا أمى بينما أقوم أنا . . [تتوقف فجأة وتموت فيها الرغبة فى المداعبة] كلا ! لا أستطيع — لا أستطيع أن أرد نفسى عن التفكير فيها .

ينسدل الستار لمدة دقيقة

المنظر الثانى

الوقت هو المساء

عندما يرفع الستار تكون الغرفة خالية مظلمة إلا من نور الفجر الذى يتسلل خلال النافذة الفرنسية المفتوحة .

شبح كلو ، فى روب أسود ، يظهر فى الخارج على ضوء القمر . تطل برأسها وتتحرك بسرعة ثم تعود وتدخل فى تردد. عندما ينحسر الروب يظهر تحته ثوب سهرة أبيض . أما شبحها فهو واقف يترصد ما يحدث فى هذا الضوء الخافت . ثم نراه يتململ فى غير ارتياح يميناً ويساراً كما لو كانت صاحبته لا تستطيع الاحتفاظ به هادئاً ساكناً وفجأة تقف متسمعة .

صوت رولف : [فى الخارج] كلو ! كلو ! [تظهر]

كلو : [متجهة نحو النافذة] ماذا تفعل هنا ؟

رولف : ماذا تفعلين أنت ؟ كنت أتبعك فقط .

كلو : ابعد عنى !

رولف : ماذا فى الأمر ؟ أخبرينى !

كلو : ابعد عنى ولا تقل شيئاً . أوه ! الورود .
[تضع أنفها فى عدد من الورود فى زهرية وضعتها على حامل قريب من النافذة] أليست رائحتها زكية ؟

رولف : ماذا كانت تريد چل هذا المساء ؟

كاو : لن أخبرك بشئ ابعد عنى !

رولف : لا أحب أن أتركك هنا فى هذه الحالة .

كلو : أية حالة ؟ أنا بخير ، انتظرنى فى طريق السيارات إذا أردت .

[رولف يتهيأ للذهاب ؛ ولكنه يقف وينظر إليها ثم يذهب فعلا]

[كلو فى صوت أنين خافت تترنح ثانية وهى تمشى جيئة وذهاباً ، ثم تقف عند النافذة لتتسمع . تسمع أصوات من جهة اليسار . فتمرق كالسهم من النافذة ثم تبتعد ناحية اليمين عندما يرى هلكرست وچل داخلين . لقد أضاءا النور الكهربائى وأتيا أمام المدفأة حيث يجلس هلكرست الآن على مقعد ذى مسندين ، وعلى مسنده تجلس چل . وهما فى ثياب المساء العادية] .

هلكرست : والآن أخبرينى .

چل : ليس هناك الكثير الذى أخبرك به يا أبى . كنت خائفة جداً أن أقابل أحداً غيرها وطبعاً قابلت رولف ؛ ولكنى ألقيت إليه بأكذوبة فأخذنى إلى غرفتها — أو مخدعها كما يقولون — أليست كلمة « مخدع » هذه غريبة يا أبى ؟

هلكرست : [متفكراً] غرفة الهم . ثم ماذا ؟

چل : كانت تجلس هكذا [تدفن ذقنها فى يديها وتضع مرفقيها على ركبتيها] ثم قالت فى شئ من الشراسة «ماذا تريدين؟ » وعندئذ قلت «آسفة جداً، ولكنى ظننت أنلك قد ترحبين بزيارتى »

هلكرست : ثم ماذا ؟

چل : نظرت إلىّ نظرة حادة وقالت « أظنك تعرفين كل شئ عن الموضوع » فقلت « معرفة غامضة » وذلك لأنى لا أعلم طبعاً . وبعد ذلك قالت « جميل منك أن تحضرى » إنها تبدو كروح ضالة يا أبى ، ماذا فعلت ؟

هلكرست : لقد اقترفت جريمتها الحقيقية عندما تزوجت من الفتى هورنبلوور دون أن تخبره . لقد خرجت من عالم خاص لكى تتزوج .

چل : أوه . [تحملق أمامها] وصل ما يجرى فى ذلك العالم غاية فى السوء يا أبى ؟

هلكرست : [متململا] لا أدرى يا چل، أظن أن فى وسع البعض أن يتحملوه ولكن البعض الآخر لا يستطيعون تحمله ، ولا أدرى من أى النوعين هى .

چل : إننى متأكدة من شئ واحد . إنها متعلقة بتشارلى تعلقا كبيرا جداً .

هلكرست : هذا أمر سيئ . سيئ جدا .

چل : وهى مرتاعة بشكل فظيع . وأعتقد أنها بائسة .

هلكرست : مثلها من النساء صلب متين ياچل . لا تدفعك

مشـاعرك للإسراف فى العطف عليها

چل : كلا ، فقط ... أوه . كان الأمر فى غاية السوء وطبعاً سكت .

هلكرست : [عاطفاً عليها] هـم . هذا مايفعله المرء عادة . ولكن لعل ذلك كان خيراً . لقد كنت تتخبطين فى الظلام .

چل : كل ما قلته : « أشعر أنا وأبى بالأسف الشديد . وإذا كان هناك أى شىء يمكننا أن نفعله ... » .

هلكرست : لقد كان فى هذا مخاطرة يا چل .

چل : [فى ارتباك] كان علىّ أن أقول شيئاً لقد سررت على أى حال عنـدما غادرتها أشعر بأنى أكثر إنسانية .

هلكرست : لقد كان علينا أن نحارب من أجل بيتنا . ولو لم أفعل لشعرت كأنى خائن .

چل : إننى لا أستمتع ببيتنا الليلة يا أبى .

هلكرست : لم أستطع فى حياتى أن أكره إنساناً كراهية خالصة . فالكراهية أشد مضايقة .

چل : ولكن أمى ارتفعت معنويتها ارتفاعاً هائلا ، ودوكر منتش بلذة النصر . أبى . إننى لا أشعر نحوه بشىء من الثقـة . فإنه

.. ما هى الكلمة .. آه ، إنه مشاغب .

هلكرست : بعض الشئ .

چل : أنا متأكدة أنه لن يهتم أقل اهتمام لو أن كلو انتحرت .

هلكرست : [وهو ينهض فى شئ من الضيق] كلام فارغ ! كلام فارغ !

چل : ولست أدرى هل تهتم أمى ؟

هلكرست : [مستديراً بوجهه ناحية الشباك] ما هذا ؟ ظننت أنى سمعت .. [بصوت أعلى] أهناك أحد ؟

[لا جواب . تقفز چل من مكانها وتعدو إلى النافذة]

چل : أنت [تندفع ناحية اليمين ثم تعود ممسكة بكلو من يدها وهى تدفعها إلى الأمام] ادخلى ! ليس هناك أحد غيرنا نحن الاثنين ! [لهلكرست] أبى !

هلكرست : [مضطرباً ، ولكنه يحاول أن يبدو مجاملا] مســـاء الخير . ألا تتفضلين بالجلوس ؟

چل : اجلسى . فأنت ترتعدين .

[تحمل كلو على الجلوس فى المقعد الوثير الذى تنحيا لها عنه ، ثم تغلق الباب والنوافذ وتسدل الستائر]

هلكرست : [فى ارتباك وترقب] هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك ؟

كلو : لم أستطع أن أتحمل — إنه قادم ليسألك —

هلكرست : من ؟

كلو : روجى . [تلتقط أنفاسها فى انتفاضة طويلة ، ثم يبدو كأنها تستجمع شتات شجاعتها] لا بد أن أتصرف بسرعة . إنه يلح فى السؤال — إنه يعلم أن فى الأمر شيئاً .

هلكرست : هونى عليك . لن نخبره بشئ .

كلو : [متوسلة] أوه ! هذا لا يكفى . ألا تستطيع أن تخبره بشىء يجعله يعتقد ثانية أن ليس هناك شىء . لقد أجرمت فى حقه . ولم أدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان — لقد وجدت فى التعرف إليه نفحة من نفحات الحظ السعيد تأتينى بعد ما جزت من شدائد . إن معدنى ليس بهذا السوء . ليس شيئاً فى حقيقته .

[تتوقف عن الكلام لشدة ارتعاد شفتيها]

[چل تقف إلى جوار المقعد وتربت كتفها . هلكرست يقف ساكناً تماماً ويعض على إصبعه بشكل مؤلم]

الذى حدث هو أن أبى أفلس ، وكنت أعمل فى متجر حتى . . .

هلكرست : [مهدئاً إياها ، ولكى يمنعها من البوح بسرها] نعم ، نعم ، نعم ، نعم .

كلو : لم يحدث أن خنت رجلا أو فعلت شيئاً أخجل منه — أقصد على الأقل ، وكان . . .

عليّ أن أعيش بأى طريقة ثم حدث أن قابلت تشارلى .

[تمسك عن الكلام مرة أخرى لارتعاد شفتيها]

چل : لا شىء فى هذا .

كلو : كان يعتقد أنى فتاة محترمة . وشعرت بالارتياح الشديد لهذا بشكل لا يمكن أن يتصوره أحد . لذلك تركته على اعتقاده

چل : هذا فظيع يا أبى !

هلكرست : أجل !

كلو : وبعد أن تزوجته وقعت فى حبه . ولو كنت أحببته قبلها لما جروئت على التفكير فى الزواج . ولكن المسألة أن من الصعب على المرء أن يعرف ما سيحدث . أليس كذلك؟ وإذا رأى الغريق قشة تعلق بها .

چل : طبعاً .

كلو : والآن أنا حامل .

چل : [مشدوهة] أوه ! أحامل أنت حقا ؟

هلكرست : يا لله

كلو : [فى غباء] كنت على أحر من الجمر طوال هذا الشهر . منذ اليوم الذى بدأت فيه المسألة هنا . كنت أعلم أن حكايتى قدفاحت رائحتها فى الجو وما يفوح فى الجو لا يمكن

أن يتلاشى ، [تنهض وتمد ذراعيها أمامها]
لا يتلاشى أبداً . إنه يهب هنا وهناك
[فى انكسار] ثم تبلغ الرائحة أنف صاحبها
[يتغير صوتها إلى الثورة] ولكننى دفعت ثمن
حماقتى ! إن الحياة التى عشتها لا متعة
فيها . أنا لست أشعر بالخجل والندم أو أى
شىء من هذا القبيل . لولاه أخشى ألا يغفرلى
أبداً . أى عار سيشعر به . وخاصة أننى حامل
منه . إن تعلقى الشديد به يجعلنى أشعر بألم لم
يخالجنى من قبل فى أى وقت من الأوقات .
وليس هذا باليسير . أجل ليس باليسير .

چل : [فى نشاط] اسمعى ! ينبغى ألا يعلم بما حدث

كلو : هذا هو الأمر . ولكن الوساوس بدأت
تساوره ولا بد أن يمضى فى الشوط إلى نهايته
وليس هناك زوج يقر له قرار وهو يشك
فى سلوك زوجته . لن يهدأ تشارلى : مطلقا
فهو ذكى وغيور . وسوف يأتى إلى هنا
[تتوقف وتنظر حولها فى اضطراب متسمعة]

چل : أى ماذا يمكن أن نقول حتى نقصيه عن
تتبع رائحة الخبر ؟

هلكرست : أى شىء فى حدود المعقول .

كلو : [متعلقة بهذه القشة] ستفعل هذا حقا ! أما أنا

فلا أدرى ماذا أفعل فقد اعتدت الحياة
اللينة بعد رعايته الكريمة لى . إنه يحبنى
فعلا فإذا تخلى عنى قضى على — هذا هو الأمر.

هلكرست : أعندك اقتراح معين ؟

كلاو : [متلهفة] الحل الوحيد هو أن يقال له شيء
إيجابى ، شيء يصدقه ولكنه ليس مزريا جدا .
مثلا أننى كنت أشتغل بعمل كتابى للشخصين
الذين جاءا هنا ، وأنهما فصلانى لأنهما يشكان
فى أنى اختلست بعض المال . فى وسعى أن
أجعله يعتقد أن شكهم لا أساس له
من الصحة .

چل : نعم . وهو فعلا لا أساس له من الصحة
عظيم . يمكنك أن تقنعيه . أليس كذلك
يا أبى ؟

هلكرست : سأفعل كل ما فى وسعى . إننى آسف جدا .

كلو : أشكرك . ولا تقولا إنى كنت هنا أرجوكما ،
فهو شكاك جدا . إنه يعلم أن والده قد
باع لك الأرض مرة أخرى ، وهذا
ما يحيره بالإضافة إلى مجيئى هنا فى هذا
الصباح . إنه يعلم أنهم يخفون عنه شيئا ما
وقد لاحظ وجود ذلك الرجل الذى كان
مع دوكر أمس . ثم إن خادمتى كانت

تتجسس على . المسألة في الجو . ومن السهل عليه أن يستنتج . ولكنى طمأنته إلى أنه لا يوجد مايدعو للقلق . لايوجد شيء حقيقى .

هلكرست : يا لها من ورطة !

كلو : أنا أمينة جداً وحريصة فى شئون المال . ولذا لن يصدق عنى هذا وأنا أعرف أن هورنبلوور العجوز يود أن يخفى عنه الخبر

هلكرست : لعل هذا الحل أحسن الحلول .

كلو : [فى شيء من التحدى] إننى زوجة مخلصة له

چل : طبعاً نحن نعلم هذا .

هلكرست : هذا أمر محزن حقا . إن الخداع ليس من شيمتى ولكن ..

كلو : [متلهفة] عندما خدعته كنت مستعدة أن أخدع الله نفسه — لأنى كنت يائسة جداً إنك لم تتمرغ فى حياتك فى الوحل كما تمرغت أنا لن تستطيع تصور الآلام التى قاسيتها .

هلكرست : نعم . نعم أشعر بأنى لو كنت مكانك لما فعلت غير هذا . أنا آخر من يدين الناس [كلو تغطى عينيها بيديها]
كفى ، كفى ! هونى عليك ! [يضع يده على ذراعها]

چل : [لنفسها] ما ألطفك يا بابا !

كلو : [تقفز] هناك قادم بالباب .

لابد أن أنصرف . لابد أن أنصرف .

[كلو تعدو إلى النافذة وتتسلل من خلال الستائر . مقبض الباب يعود لمكانه ولا ينفتح]

چل : [متضايقة] أوه . إنه مغلق بالفعل — لقد نسيت .

[تقفز إلى الباب وتفتحه بينما يذهب هلكرست إلى المكتب حيث يجلس]

لا شيء يا فلوز ، كل ما هناك أنى كنت أقول لوالدى شيئاً له بعض الأهمية .

فلوز : [متقدماً خطوة أو اثنتين ومغلقاً الباب من خلفه]

أجل يا سيدتى . مستر تشارلز هورنبلوور ينتظر فى الصالة . ويريد أن يراك يا سيدى أنت أو مسز هلكرست .

چل : يا له من إنسان ثقيل الظل . هل يمكنك أن تراه يا أبى ؟

هلكرست : إيه ... نعم . أظن هذا . ائذن له بالدخول يا فلوز .

[عندما ينصرف فلوز تجرى چل إلى النافذة ، ولكنها لا تجد من الوقت إلا ما يكفى لتسوية الستائر وتقفز بعدها عائدة إلى مكانها بجوار والدها قبل أن يدخل تشارلز . وعلى الرغم من أنه فى ملابس السهرة إلا أن

فيه شحوباً وتشعث لم يعهد فى هذا الشاب الأنيق].

تشارلز : هل زوجتى هنا ؟

هلكرست : كلا يا سيدى .

تشارلز : هل كانت هنا ؟

هلكرست : فى الصباح فيما أظن . أليس كذلك ياچل .

چل : نعم لقد حضرت صباح اليوم .

تشارلز : [محلقاً فيها] أعرف هذا — ولكنى أقصد الآن ؟

چل : كلا . [يهز هلكرست رأسه]

تشارلز : أخبرنى عما حدث هذا الصباح .

هلكرست : لم أكن هنا .

تشارلز : لا تحاول أن تموه على ، فإنى أعرف الكثير . [لچل] أنت .

چل : هل أقول له يا أبى !

هلكرست : كلا . سأفعل أنا . ألا تتفضل بالجلوس ؟

تشارلز : لا . استمر .

هلكرست : [يبلل شفتيه] يظهر يا سيد هورنبلوور ، أن وكيلى مستر دوكر . . .

[تشارلز يتنفس بصعوبة ويند عنه صوت ينبىء بالغضب]

يظهر أنه يعرف شركة من الشركات كانت

تعمل فيها زوجتاك فيما مضى ، إننى أفضل جداً ألا أزيد وخاصة لأننا لا نعتقـــد فى صحة ما سمعناه .

چل : نحن لا نصدقه .

تشارلز : استمر !

هلكرست : [واقفاً] اسمع ! لو كنت مثلك لرفضت أن أسمع أى شىء ينال من زوجتى .

تشارلز : قلت لك ، استمر .

هلكرست : ألا زلت تصر؟ حسناً . إنهم يقولون إن هناك مسألة متعلقة بالحسابات . وزوجتك تركتهم فى ظروف مريبة . إننا لا نصدقهم كما ذكرت لك .

تشارلز : [فى عنف] كذابون !

[يندفع فى اتجاه الباب]

هلكرست : [جفلا] ماذا قلت ؟

چل : [ممسكة بذراعه] أبى [بصوت خافت] إننا حقاً كذابون ، كما تعلم .

تشارلز : [عائداً إليهما] لماذا تخبروننى بهذه الأكذوبة؟ وقد استخلصت الحقيقة من هذا الوعد القصير ! لقد كانت زوجتى هنا . وهى التى لقنتكم هذه الكذبة .

[يرى وجه كلو وقد جمد بين الستائر التى مزقتها يداها] .

إنما هى — لقد لقنتكم هذه الكذبة . إنها كذابة — أكذوبة حية متحركة ، لقد ظلت مدى ثلاث سنوات أكذوبة حية تتحرك .

[هلكرست وحده يستدير بوجهه ناحية الستائر فيرى هذا الوجه المتسمع . يرفع يده إلى أعلى بانفعال لا يقوى على التحكم فيه]

وليس لديها الآن الشجاعة لتخبرنى ، لقد أنهيت ما بينى وبينها . لن اعترف بأبوتى لطفل من امرأة كهذه .

[تدع كلو الستارة وتئن بصوت خفيف ثم تختفى]

هلكرست : فكر فيما تقوله بالله يا رجل . إنها فى شدة الكرب .

تشارلز : وكيف حالى أنا ؟

چل : إنها تحبك كما تعلم .

تشارلز : يا له من حب لطيف ! لقد أخبرنى هذا الوغد دوكر ، أخبرنى ... هذا فظيع ! فظيع !

هلكرست : كم آسف أشد الأسف لأن خصامنا أدى إلى هذه النتيجة .

تشارلز : [فى مرارة بالغة] نعم لقد حطمتم حياتى .

[مسز هلكرست كانت قد دخلت دون أن يراها أحد
ووقفت عند الباب إلى اليسار] .

مسز هلكرست : أكنت تريد أن تستمر فى العيش معها وأنا جاهل بما حدث ؟

[يستديرون جميعاً لينظروا إليها]

تشارلز : [يتلوى] لا أدرى ولكن ــ أنت ــ أنت السبب .

مسز هلكرست : كان يجب ألا تهاجمونا .

تشالز : وما فعلنا بكم بالقياس إلى هذا ؟

مسز هلكرست : فعلتم كل ما استطعتم .

هلكرست : كفى . كفى . ماذا نستطيع أن نفعله لنساعدكم

تشارلز : أخبرنى أين زوجتى .

[چل تسحب الستائر – النافذة مفتوحة – تنظر چل
من خلالها إلى الخلاء – ينتظر الجميع فى سكون]

چل : لا نعلم .

تشارلز : إذن كانت هنا فعلا .

هلكرست : نعم ياسيدى وقد سمعت هذا الذى قلته الآن .

تشارلز : إذا كانت سمعته فهذا أفضل . إنها تعلم حقيقة شعورى

هلكرست : تشدد كن رفيقاً معها .

تشارلز : رفيقاً ؟ امرأة . . .

هلكرست : بل مخلوقة تعسة الحظ . هيا !

تشارلز : تبا لعطفكم .

[يذهب إلى حيث نور القمر ثم يختفي جهة اليسار]

چل : يجب أن نبحث عنها يا أبى . إننى خائفة جدا

هلكرست : لقد رأيتها هناك تتسمع وهى حامل من يدرى إلام تنتهى الأمور إذا بدأت ؟ إذهبى إلى الحفرة ياچل وسأذهب أنا إلى البركة ، كلا سنذهب معاً .

[يخرجان]

[مسز هلكرست تتوجه إلى المدفأة . وتدق الجرس وتقف هناك . وهى تفكر . يدخل فلوز]

مسز هلكرست : أريد أن ينزل أحدهم إلى بيت مستر دوكر ويستدعيه .

فلوز : مستر دوكر هنا يا سيدتى فى انتظار مقابلتك

مسز هلكرست : اطلب منه أن يدخل . أوه . وبالمناسبة يا فلوز قل لآل جاكمان إن فى وسعهم أن يعودوا إلى كوخهم .

فلوز : سمعاً وطاعة ياسيدتى

[ينصرف]

[مسز هلكرست تبحث فى أدراج المكتب عن عقد البيع فتجده وتخرجه . يدخل دوكر . وعليه مظهر الرجل الثائر الأعصاب]

مسز هلكرست : تشارلز هورنبلوور ، كيف حدث ماحدث

دوكر : جاءنى فقلت إنى لا أعرف شيئاً . ولكنه لم

يقتنع وراح يهاجمنى وسبنى سبا مقذعاً جداً . وقال إنه يعرف كل شىء ثم أخذ يهددنى . عندئذفقدت سيطرتى على أعصابى وأخبرته .

مسز هلكرست : هذا شىء خطير جداً يا دوكر ، بعد العهد الذى قطعناه على أنفسنا . إن زوجى فى غاية الكدر .

دوكر : [عابساً] ليس الذنب ذنبى ياسيدتى . ما كان يجب أن يهددنى ويستفزنى . ثم إنه شاع أن هناك فضيحة ، وأصبح الأمر حديث الناس فى القرية — لم تُفْشَ الحقائق ولكن ما يكفى للقيل والقال . لا بد أن يرحلوا . وخير لكم على كل حال قطع هذا النزاع نهائياً من أن تتركوا أعدائكم يجاورونكم .

مسز هلكُرست : ربما ؛ لكن . . أوه ! دوكر ، حافظ على هذا العقد [تناوله العقد] هؤلاء الناس قد استبد بهم اليأس — ولست أطمئن إلى زوجى حين يستثار عطفه .

[صوت سيارة تقف]

دوكر : [لدى النافذة ينظر جهة اليسار] أعتقد أنها سيارة

هور نبلوور . نعم إنه ينزل منها .

مسز هلكرست : [متأهبة للمعركة] من الأفضل إذن أن تنتظر .

دوكر : يجب أن يكف عنى لسانه فقد تحمّلت مافيه الكفاية .

[يفتح الباب . ويدخل هور نبلوور فى أعقاب فاوز مباشرة فلا يعطيه فرصة للاستئذان]

هور نبلوور : أعطنى هذا العقد . لقد حصلتما عليه منى بالنصب والاحتيال . لقد أقسمتما ألا تبوحا بشئ ولكن حتى خدمى يعلمون !

مسز هلكرست : لا علاقة لنا بهذا . لقد جاء ابنك وانتزع المعلومات من مستر دوكر بالسب والتهديد هذا كل ماحدث . أرجوك أن تلزم حدود الأدب هنا وإلا طلبت إخراجك .

هور نبلوور : قلت لك أعطنى هذا العقد [يستدير فجأة لدوكر] أنت أيها الوغدُ الحقير إننى أراه فى جيبك .

[طرف العقد ظاهر فعلا ، من جيب سترة دوكر الداخلى]

دوكر : [مغضباً] اسمع يا هورنبلوور . لقد احتملت الكثير من ابنك ولن احتمل فوق هذا .

هور نبلوور : [لمسز هلكرست] سوف أشوّه بيتكم [لدوكر] أعطنى هذا العقد وإلا خنقتك .

[يهجم على دوكر محاولا خطف العقد . يقفز دوكر واقفاً ، ويقف الاثنان مهتزين يحاول كل منهما أن يقبض على عنق غريمه . تحاول مسز هلكرست أن تعبر المكان لتبلغ الجرس ولكنها لا تستطيع بسبب المعركة]

[يظهر رولف فجأة فى النافذة وينظر فى اضطراب إلى المعركة ويمسك بيدى دوكر وقد امتدت إلى عنق هور نبلوور . چل تتابع ما يحدث وتندفع إليه ممسكة بذراعه]

چل : رولف ! كلكم ! كفـــوا ! وانظروا !

[دوكر يرخى قبضة يده ويستدير جانباً . هور نبلوور يترنح ثم يستجمع قواه ويحاول التقاط أنفاسه . يستدير الجميع إلى النافذة حيث يرى من خلالها فى ضوء القمر هلكرست وتشارلز هور نبلوور وقد حملا كلو وهى جسم لا حركة فيه] .

ليس فيها إلا نفس يتردد .

مسز هلكرست : احضروها هنا . البراندى يا چل !

هورنبلوور : كلا . خذوها إلى السيارة . ابعدى أيتها الشابة !

لا أريد عوناً من أى منـــكم . رولف . تشيرلى . احملاها إلى السيارة .

[يرفعانها ثم يحملانها بعيداً ، جهة اليسار . تتبعهما چل]

هلكرست : لقد ألحقت بى هنا الهزيمة والعار . لقد دمّرت حياة ابنى الزوجية . وقتلت حفيـــدى . لن أبقى فى هذه البقعة الملعونة ؛ ولكن

أقسم أنه لو أتيح لى يوماً أن أوذيك أو
أوذى أحداً من ذويك لما ترددت .

دوكر : [متمتما] لا بأس . اصرخ وهدد . أنت
الذى بدأت المعركة .

هلكرست : دوكر من فضلك ! يا هورنبلوور ، أؤكد
لك فى هذا المحضر الرهيب أننى آسف من
صميم قلبى .

هورنبلوور : أيها المنافق !

[يمضى فى طريقه ماراً بهم وعليه نوع من الوقار ويتجه
عبر النافذة إلى سيارته]

[هلكرست وقد وقف مشدوهاً لمدة دقيقة ، يمضى
متثاقلا إلى الأمام ثم يجلس فى مقعده اللفاف]

مسز هلكرست : أرجوك يا دوكر أن تطلب من فلوز أن
يتصل تليفونيا بالدكتور روبنصون ويدعوه
للذهاب إلى عائلة هورنبلوور فوراً .

[دوكر يتحسس العقد بأصابعة ويخرج من جهة
اليسار وهو يحدث صوتاً كأنه يقول] « الكلب القذر »
[عند المدفأة] جاك ! هل تلومنى ؟

هلكرست : [فى غير حراك] كلا .

مسز هلكرست : أوه . . دوكر ؟ لقد بذل أقصى ما فى وسعه .

هلكرست : كلا .

مسز هلكرست : [مقتربة] ما الحكاية ؟

هلكرست : منافق !

[چل تأتى مسرعة وهى تعدو عبر النافذة]

چل : لقـــد تحركت يا أبى . وتكلمت . قد لا تكون الإصابة خطيرة جداً .

هلكرست : حمداً لله على هذا !

[يدخل فلوز من جهة اليسار]

فلوز : آل جاكمان يا سيدتى .

هلكرست : من ؟ ما هذا ؟

[دخل مستر جاكمان وزوجته ووقفا عند الباب]

مسز جاكمان : يسرنا جدا أن نستطيع العودة إلى كوخنا يا سيدى .
سيدتى ، لقد أردنا أن نعبر عن شكرنا .
[فترة صمت يدركان منها أن وجودهما غير مرغوب فيه]
أشكرك شكراً جزيلا يا سيدى طاب مساؤك يا سيدتى .
[يخرجان فى تثاقل]

هلكرست : لقد نسيت أنهما موجودان على قيد الحياة .
[ينهض] ما هذا الذى فعلت من سيطرتك إذا بدأت معركة ، ويجعل منكما شخصاً غير ما تعتقد فى نفسك ؟
أى شىء يغشى البصر ؟ أبداً كما تريد —

فالخصومة تنتهي دائماً . هكذا لعبة غادرة !
لعبة غادرة !

چل : [مسرعة إليه] لست أنت يا أبي ، لست أنت يا أبي العزيز .

هلكرست : أجل . فأنا سيد هذا البيت أو هكذا يجب أن أكون .

مسز هلكرست : لا أفهم .

هلكرست : عندما بدأنا هذه الخصومة كانت أيدينا نظيفة — فهل هي الآن نظيفة ؟ أي قيمة لنبل النبلاء إذا لم يحتمل النار المسلطة عليه ؟

تسدل الستار

روائع

المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

ملتزم النشر والتوزيع الشركة التعاونية للطباعة والنشر ١٤ ش عماد الدين

يطلب من
مكتبة الخانجى - القاهرة * مكتبة المثنى -

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

الثمن ١٠ قروش